



المركز الجامعي لميلة

.....:

المعهد:

: اللغة العربية وآدابها

أسلوب الرثاء والإغاثة في اللغة العربية دراسة في ضوء النحو العالمي
(الخنساء أنموذجاً)

نيل شهادة

: ()

قبايلي عبد الغاني

: ()

بحان وافية

:

:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَادَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَادَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَادَ

اللَّهُ فَرِيدٌ
سَرِيحٌ

إهداء

إلى من سهرت على تربيته ، قيثارة الحب الأبدية و منبع الحنان و الأمل

"أمي"

إلى شعاع النور الأزلي و من علمني المبادئ و القيم ...و غرس في حب العلم و

العمل "أبي"

إلى القمر و النجم اللذان زينا سماء أبي

"جدي و جدتي"

إلى من عشت معهم طفولتي و شبابي،إلى قناديل الفجر و أزاهير الصباح إخوتي:

"نسمة ، عبد الحق ، نصيرة ، الهام، عنتره، علي ،أيوب ،هيثم."

إلى من وقف إلى جانبي لإتمام هذا البحث ماديا و معنويا، إلى رفيق دربي و توأم

روحي "زوجي"

إلى عائلة زوجي.

إلى رفقاء الدرب و أخلاء الروح و أشقاء النفس "صديقاتي".

إلى من ذكرهم قلبي ،و نسيهم قلمي.

إليهم جميعا اهدي هذا العمل و جهدي.

وافية

وَالْقَدِيرُ
حَامِدٌ شَرِيفٌ

شكر و تقدير:

بسم الله رأس كل خير و بدء كل آمن و الحمد لله أولا و ختاماً، وله الشكر أناء الليل
و أطراف النهار و على مايسر ووفق في إتمام هذا البحث و بعد:
أتقدم بخالص الشكر و فائق الإحترام و التقدير إلى الأستاذ المشرف " عبد الغاني
قبايلي "

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

كل أساتذتي من الطور الإبتدائي إلى اليوم.

و إلى جميع دكاترة و أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها.

و تحية تقدير و احترام و ألف شكر إلى:

زوجي العزيز «عمار»

تحية شكر و عرفان لكل من يعرف: " وافية بحان "

إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث خالص شكري و امتناني و أسأل الله التوفيق
و السداد و هو حسبنا و به نستعين.

الملخص

تعريف الرثاء: هو البكاء و التحسر على فقدان شخص عزيز عليك و لكن بألفاظ تمدحه و تعدد محاسنه و مناقبه.

تعريف الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث. كانت رائعة الجمال، تنتمي إلى قبيلة "سليم" أقوى قبائل البدو في الحجاز ، عاشت أحداثا مؤلمة جعلت منها أشهر شاعرة في الرثاء ، دخلت الإسلام ، توفي لها أربعة أولاد إثر واقعة القادسية.

و للرثاء ثلاثة أنواع هي:

أ-الندب: هو البكاء و التفجع و النواح على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة. و هو على أنواع نذب الأهل و الأقارب ، نذب الشعراء أنفسهم ، نذب الدول، نذب الرسول صلى الله عليه و سلم.

ب-التأبين: هو الغناء على الشخص حيا أو ميتا ، ثم يقتصر على الموتى فقط و هو على أنواع تأبين الخلفاء و الوزراء ، تأبين العلماء و الأدباء ، تأبين الأشراف والأجواد.

ج-التعزية: هي التسليم لأمر الله سبحانه و تعالى، و الصبر على ما أصابه و هي كذلك أنواع العزاء في الأهل، العزاء و التهئة.

و هناك نوع آخر من الرثاء و هو خروجه من دائرة الأشخاص حيث انه لم يقتصر على الأشخاص فحسب بل خرج في إلى اتجاهات أخرى كالبكاء على الشباب و الشيب، رثاء الحيوانات، رثاء الخمر، رثاء الممالك الزائلة. وحاولت تطبيق أسلوب الرثاء على النظرية التوليدية وذلك من خلال مراحلها الثلاث

تتجسد المرحلة الأولى في كتاب نوام تشومسكي "البنى التركيبية" الصادر عام 1957 و أطلق على هذه النظرية فيما بعد اسم النظرية الكلاسيكية .و المرحلة الثانية برزت مع ظهور كتابه "مظاهر النظرية التركيبية" عام 1965، و تعرف هذه النظرية بالنظرية

النموجية، و المرحلة الثالثة تبلورت بعدما نشر تشومسكي ثلاث مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة و البنية العميقة في نظريته ، و التي جمعها فيما بعد في كتاب واحد بعنوان "دراسات الدلالة في القواعد التوليدية"، و ذلك في سنة 1972. و بات هذا الشكل الجديد يعرف بالنظرية النموجية الموسعة.

Abstract:

Definition of Lament: it is the crying and bemoaning the lost of some one dear to you, through the use of words that praise him/her and mention her/his merits and qualities.

Definition of Khansaa: she is Tomadir bint Amr ibn al-Harith. She was of a great beauty; belonging to the tribe of "Salim" the most powerful tribe in the Hijaz, she lived painful events which turned her to be the greatest poet in the domain of laments. She converted to Islam. Her four children died in the battle of Qadisiyah.

There are three types of lament:

A - Mourning: is crying for the dead by using sad and painful terms, and it contains different types: mourning parents and relatives, poets themselves, states, or the Prophet peace be upon him.

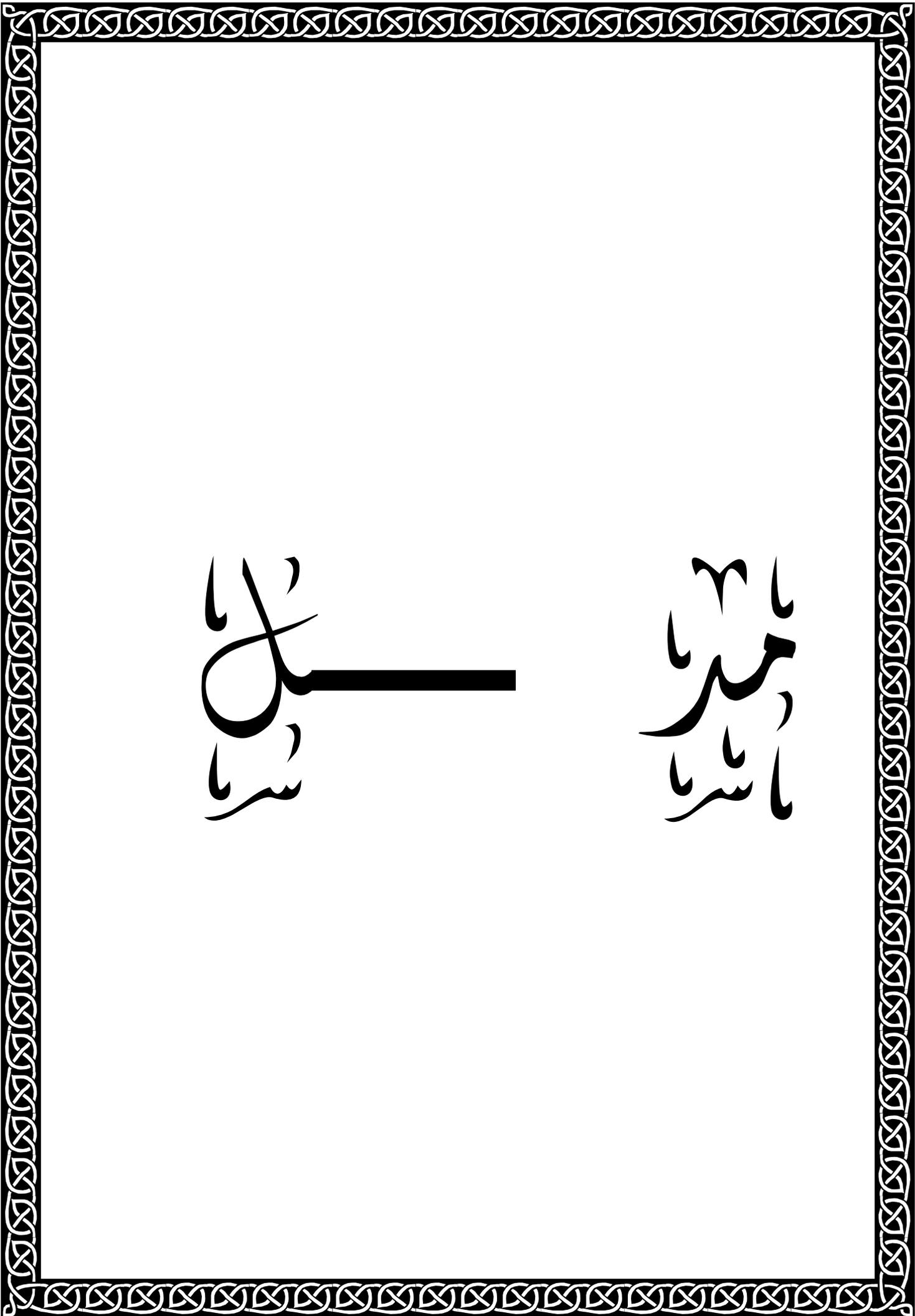
B - Eulogy: is singing on the person, dead or alive, then restricted to only the dead; and it is of different types: eulogy about caliphs, ministers, scholars and writers.

C - Consolation: the submission to the command of Allah Almighty, and patience on the injury and it has also different types: consolation in family, condolences and congratulations.

There is another type of lament which goes beyond the circle of persons, it does not include only people, but also takes other directions such as: the

gray hair, youth, animals, wine and lost kingdoms.

The Transformational-Generative Theory has gone through three stages. The first phase is embodied in a book of Naam Chomsky " syntactic structures " published in 1957 and launched on this theory the name changed to the classical theory;and the second phase came into existence with the appearance of his book " Aspect of the Theory of Syntax " in 1965, which became known as "Standard theory". The third phase crystallized after publication Chomsky three different articles about the place of significance and deep structure in his theory, which was collected in 1972 in one book entitled " Studies on Semantics in Generative Grammar". This new form became known as the Extended Standard theory.



ش

س

مدخل:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين نشاطا بحثيا مكثفا كان أغلبه مثمرا في دراسة الملكات المعرفية البشرية، و كانت دراسة اللغة إحدى المجالات التي تحقق فيها تقدم كبير فهي أقدم فروع الدراسة المنهجية و هذا ما جعل اهتمام العلماء قديما لم ينقطع بدراسة اللغة، و خاصة في تلك المجتمعات التي كانت للغتها علاقة مباشرة بالدين كما كان الحال بالنسبة إلى اللغة السنسكريتية في الهند، و اليونانية و اللاتينية في أوربا، و العربية في البلاد العربية التي ظهرت حوالي سنة 3200 ق م

و بطبيعة الحال ليس لدينا دليل على اهتمام القدماء باللغة قبل أن ت اخترع الكتابة و تستخدم في تدوين حصيلة تلك الاهتمامات، فهناك إشارات إلى النقوش الهيروغليفية و السومارية و الآشورية، تدل على وجود اهتمامات لغوية و لكن ليس لدينا نتاج لغوي هام قبل القرن الرابع قبل الميلاد حيث اكتشف العلماء الأوربيون في القرن 19 م كتابا في قواعد اللغة السنسكريتية ألفه « بانني » الذي فيه 400 قاعدة. و ذلك بهدف خدمة دينهم و كتابهم المقدس « الفيدا » حيث وصفوا فيه كل أنظمة اللغة و مستوياتها التركيبية و الصوتية الصرفية و النحوية وصفا دقيقا.

و قد أثر المنهج الهندي و طرائق قراءة الهنود و ضبطهم للنصوص في الدرس اللغوي عند الغربيين، كما بقيت آراء « بانني » مقبولة لدى اللغويين الغربيين، كما أنهم مازال يستعمل بعض المصطلحات الفنية التي وضعها لبعض الظواهر اللغوية.

كما درس الهنود لغتهم تبعهم اليونان و الرومان حيث ساروا على منهج الهنود إلا أن عملهم كان متأثرا بالمنهج العقلي المسيطر في ذلك الوقت حيث أن دراستهم كانت تجريدية فلسفية تقوم على المنطق الأرسطي

و قد حصروا موضوعاتهم اللغوية في البحث حول نشأة اللغة و علاقتها بالفكر و كانوا في دراستهم مينا فريقيين أكثر منهم واقعيين¹

كما أن بعض اللغويين يقولون بأن منهج المدرسة الإسكندرية القديمة ينصب على دراسة و شرح نصوص القصائد اليونانية القديمة. و تفسير مفرداتها فكثرت بذلك الشروح على أشعار هوميروس و غيره من الشعراء و معنى ذلك أن اللغويين في هذه المدرسة يقومون بشرح النصوص القديمة شرحا دقيقا حتى يتسنى للقارئ فيما بعد فهمها فهما دقيقا. ظلت دراسة اللغة منصبة على اللغتين اللاتينية و اليونانية في القرون الوسطى حيث تركت اللغة اللاتينية أثرا بالغا في دراسة اللغة إذ حددت لها بذلك منهجا ووجهته نحو دراسة اللغة المكتوبة

إن اكتشاف اللغة السنسكريتية كان مرحلة هامة حددت تطور الدراسة اللغوية في الغرب. بحيث أعلن « وليام جونز » 1786 أن اللغة السنسكريتية و اليونانية و اللاتينية تنسب إلى أصل واحد.

و بإعلانه هذا وجه الكثير من اللغويين إلى الاهتمام بالدراسة المقارنة حيث يعود الفضل إلى تطوير هذه الدراسة إلى علماء المدرسة الألمانية و ذلك من خلال ما أنجزه هؤلاء العلماء فنجد " فريدريك فون شلينجر « كتب كتابا عنوانه » عن اللغة و المعرفة عن الهنود كما اصدر « فرانزوب » كتابا حدد فيه ميلاد فقه اللغة المقارن بعنوان « عن نظام التصريف في اللغة السنسكريتية »

كما أصدر اللغوي الدانماركي « رمسيس راسك » سنة 1818 كتابه الذي نشر باللغة الدانماركية حاول من خلال البحث عن الأصول الأولى للغة الإسكندنافية القديمة عن طريق المقارنة بين عدد كبير من اللغات الهندية الأوربية ووسع دائرة البحث في اللغة العالم « جابوب غريم » من خلال كتابه « النحو الألماني » في سنة 1819 حيث إن النصوص الأدبية المكتوبة عنده لا تشكل إلا أجزاء صغيرة من اللغة و حاول الوصول إلى فهم الحياة

(¹) - محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم الدلالة العام ، دار الهدى، عين مليلة الجزائر. 60 - ينظر -

الثقافية للأمة و ذلك من خلال دراسته للهجات و الآداب الشعبية لهذه الأمة. أما العرب فإنهم لم يختلفوا كثيرا عن الهنود فقد كان هدفهم الأول في دراستهم اللغة. هو حرصهم على دينهم، فقد كانت الدراسات اللغوية موجهة لخدمة القرآن الكريم و صونه . صون اللغة التي نزل بها من التحريف و هذا ما جعلهم يتعمقون في هذه الدراسة فدرسوا كل جوانبها كالجانب الصرفي و النحوي و الدلالي... الخ.⁽¹⁾

وبهذا كانت اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية وصفية، كما تعنى كذلك باللهجات، حيث انها لا تقيم أي حدود و فروق في اللغة فهي تدرسها كوحدة متكاملة كلية فلا تخير بين اللهجة و الفصحى. كما أنها « لم تعد اللسانيات ذلك العلم الذي ينعزل في مختبراته بعيدا عن تدفق الحياة اللغوية - لم تعد علما مخبريا يعتمد المناويل اللغوية بمعزل عن صخب العلوم " الصلبة" فقد تجاوزت و إياها تجاوز الترافد في نطاق « العلوم المعرفية» sciences cognitives. لقد نهضت الجامعات الغربية باعتماد المقاربات متعددة الاختصاصات ، فنجد المصنف الواحد يتعاضد على صناعته اللساني و الرياضي و الفيزيائي و المعلوماتي و المنطقي «⁽²⁾. و هذا يعني أن اللسانيات خرجت من الجانب النظري و العقلي إلى الجانب التطبيقي في كل العلوم .

و هذا ما جعل هذا العلم تتفرع عنه مدارس أو نظريات لسانية لكل منها توجه و منهج خاص بها و من بين هذه النظريات نجد النظرية التوليدية التحويلية التي أحدثت تغييرا و تحولا في علم اللغة الذي ترأسها «نوام، تشومسكي» فكتاباته كانت عبارة عن ثورة على اللسانيين السابقين له و على آرائهم اللغوية.

حيث انفرد بمنهج خاص به ميزه على غيره من اللسانيين .وهنا نتساءل عن مفهوم التداولية؟ وتأثيرها على التوليدية .

(1) محمد علي عبد الكريم الرديني -ينظر-

(2) فيليب بلانشيه التداولية من أوستي إلى غوفمان ترجمة الحباشية 1 2007 6

إن التداولية كما يقول فيليب بلانشيه « يبدو مصطلح » التداولية « pragmatique » على درجة من الغموض إذ يقترن به، في اللغة الفرنسية، المعنيان التاليان « محسوس » ملائم للحقيقة « أما في الانكليزية »، هي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية فإن كلمة pragmatique تدل في الغالب على « ما له علاقة بالأعمال و الوقائع الحقيقية »⁽¹⁾ فهي بهذا المفهوم تعبر عن الحقيقة الموجودة في الوقائع اللغوية و يقول عنها ميشال زكرياء « تحدد النظرية الألسنية التوليدية و التحويلية في الواقع موضوع دراستها بالإنسان المتكلم - المتسمع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما و الذي يعرف لغته جيدا »⁽²⁾

و منه فموضوع التوليدية هو لغة الإنسان الذي يتكلم بها في بيئة متجانسة لغتها أي إنها لغة واحدة. كما أن كلامه معروف خال من أي لحن صوتي أو نحوي أو غيرها.

و يعرفها عبد الهادي بن ظافر الشهري بقوله : « اكتسبت التداولية عددا من التعريفات بناء على مجال اهتمام الباحث نفسه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى، و ليس المعنى بمفهومه الدلالي البحت بل المعنى في سياق التواصل، مما يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم فيعرفها » بأنها دراسة المعنى التواصلية أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إيفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى مقاله « و قد يعرفها انطلاقا من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ و أثرها في الخطاب ومنها الإشادات بما في ذلك طرفي الخطاب و بيان دورها في تكوين الخطاب و معناه، و قوته الإنجازية »⁽³⁾

و هكذا فإن كل عالم يعرف التداولية حسب المجال الذي يعمل فيه أو يهتم به.

(1) فيليب بلانشيه ترجمة صابر الحباشية : التداولية من أوستن إلى غوفمان ص 17

(2) ميشال زكرياء: الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) بيروت. 2 1402 -1982

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط4 2004 45 - 46

لقد أقر الكثير من العلماء بأهمية النظرية التوليدية و دورها في الدراسة اللغوية حيث يقول عنه حمزة بن قبلان : « توأ تشو مسكي مكانة فريدة في المشهد الفكري العالمي، فقد كان القائد الأبرز للثورة المعرفية في الخمسينات و الستينات و هيمن على حقل اللسانيات منذ ذاك الوقت كانت نظريته في النحو التوليدي بعدد من الأشكال المختلفة دليلا و ملهما لكثير من اللسانيين حول نقطة المقارنة لكل شخص تقريبا »⁽¹⁾

و هذا قرار صريح بأهمية النظرية التوليدية التحويلية في الدراسات اللغوية و كيف نشأ عنها تحول في مسار هذه الدراسة فهي لم تمس الخطاب النثري فقط بل مست كذلك الشعر، و غرض الرثاء كما هو معروف عنه قديما أنه البكاء و الحصرة على الميت مسه منهج هذه النظرية حيث درست تراكيبه النحوية و الصوتية و الدلالية، فهي بذلك درست كل القضايا اللغوية النحوية بطريقة حديثة تكشف عن القيم الصوتية و الدلالية للتراكيب اللغوية الموجودة في هذا الغرض.

وسأحاول دراسة قصائد الخنساء حتى أستطيع أن أكشف منهج الخريطة التوليدية الذي أقامه تشومسكي

(1) زيتي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و الذهن ، ط1 2005 . 7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَقْرَأَةٌ
أَوْ سُرُودًا

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي نستعينه و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، وصل اللهم و سلم على معلم الناس و من تبعه إلى يوم الدين أما بعد:

اللغة آية من آيات الله سبحانه وتعالى، ومعجزة من معجزاته التي تدل على عظمته وقدرته عز و جل حيث قال في كتابه العزيز الشريف: ﴿ وَاللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَنْزُومَةِ كَلِمَاتٌ كَثِيرٌ مِمَّا يَسْتَضِيحُ بِهِ كَلِمَاتُ الْغَيْرِ وَاللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَلِمَاتٌ كَثِيرٌ مِمَّا يَسْتَضِيحُ بِهِ كَلِمَاتُ الْغَيْرِ ﴾ [آ 21 سورة الروم] وهذا ما جعل اللغة العربية تتال شرف المنزلة، وعلو المكانة التي خصها الله عز وجل لها من بين سائر اللغات، كما أنه جعلها معجزة لينزل بها القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما جعلها خير الألسنة.

فقد كسب علماء اللغة العربية القدامى عليها يجمعونها ويضعون قواعدها ويصفون أصواتها ونظامها، وتوالت بذلك المدارس النحوية واللغوية كالبصرية، الكوفية وغيرها تطرح قضايا، مازال علماء اللغة المحدثون يعالجونها اليوم.

أما في العصر الحديث وفي ظل التحولات التي أحدثها البحث اللساني، وفي ظل تلك المبادئ التي نادى بها اللساني السويسري "فرديناند دو سوسير" في دراسة اللغة البشرية، لذاتها ومن أجل ذاتها، جعل الحديث عن موضوع علم اللغة أو اللسانيات يقتضي الاطلاع على جميع المناهج المتبعة في علم اللسان ، ومعرفة المذاهب اللسانية المتعددة، ووجهات نظر منهجية مختلفة وهذا ما جعل الدراسات التطبيقية التي اعتمدت النظرية التوليدية التحويلية منهجا للتحليل في اللغة العربية قليلة ومن بين الدارسين السابقين نجد " حمدان رضوان أبو عاصي" في دراسته بعنوان "تراكيب أسلوب النداء في العربية دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة

التوليدي" وربما كان هذا الأخير هو الذي جعلني أختار موضوعا في اللسانيات من بين الكثير من الموضوعات المطروحة للدراسة والبحث، محاولة من خلال بحثي هذا الموسوم ب " أسلوب الرثاء والإغاثة في اللغة العربية دراسة في ضوء النحو العالمي" التطرق إلى أسلوب الرثاء ودراسته في ضوء النظرية التوليدية وكان الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن مدى إمكانية تطبيق القواعد النحوية التي نادى بها تشومسكي على لغتنا العربية لنعرف إلى أي مدى يمكن تطبيق قواعد النظرية التوليدية التحويلية على اللغة العربية عامة؟ وأسلوب الرثاء خاصة؟

وهل هذه القواعد صالحة للتطبيق ؟ أم إن تطبيقها يبقى نسبيا؟ خصوصا على اللغة العربية؟

وقد قسمت هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول تتصدرهم مقدمة وتليهم خاتمة، ففي البداية مهدت للموضوع بمدخل تناولت فيه الحديث عن اللغة بصفة عامة ثم اللغة العربية وكذلك عن اللسانيات بصفة عامة ثم اللسانيات التوليدية التحويلية يعقبه الفصل الأول الذي تطرقت فيه لمفهوم الرثاء، ترجمة للخنساء، وكذلك لكل أنواع الرثاء .

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن مختلف المراحل التي مرت بها النظرية التوليدية التحويلية، وكان الفصل الثالث دراسة تطبيقية طبقت فيه المنهج التوليدي على أنواع الرثاء.

وبالنسبة للمنهج الذي اتبعته هو المنهج التحليلي وذلك بتحليل أسلوب الرثاء في اللغة العربية.

وقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع وأهمها : " ديوان الخنساء " ، ميشال زكريا " الألسنية التوليدية ، أحمد مومن " اللسانيات النشأة والتطور"، ابن منظور " معجم لسان العرب" .

ولعل أصعب العراقيل التي واجهتني من خلال بحثي هذا قلة الدراسات التطبيقية التي اعتمدت النظرية التوليدية التحويلية منهجا للدراسة وتحليل في اللغة العربية. ربما هذا ما خلف نوع من القصور في البحث وانجازه.

ختاما أتقدم بآيات الشكر والامتنان إلى كل من حبب إلي البحث في هذا الموضوع وأسأل من الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي نافعا لكل طلاب العلم.

كما أشكر الأستاذ المشرف على جهوده معي .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول
حان ما من سر ما حان ما سر

بغير ما
حان ما سر ما حان ما سر

وإنما بجملة
حان ما سر ما حان ما سر

تمهيد

تضرب فكرة الموت بجذورها في الفكر الإنساني، بل و هي مكون من مكوناته الذهنية كما يقول شوبنهاور: « إن الحيوان يحي في الحقيقة دون أن يعرف الموت و من ثم فإن الفرد داخل النوع الحيواني يتمتع تمتعا مباشرا بكل ما في النوع من ثبات ، نظرا لأن ليس لديه شعور بذاته إلا باعتباره موجودا لا نهاية له و أما الإنسان فقد ظهر معه بظهور العقل - بمقتضى ارتباط ضروري - يقين مزعج عن حقيقة الموت »⁽¹⁾

لذلك كان الإنسان لا يطرح قضية إلا و يتبعها بقضية الموت، هذه القضية التي ظلت و مازالت هاجسا يلازمه طوال حياته، و لقد كانت الحياة في الجاهلية عبارة عن رحلة من أجل ضمان العيش و كانت هذه الرحلة مليئة بالمخاطر و الصعاب جراء عدة عوامل ربما أهمها قساوة المناخ و أيضا بصفة أخص تلك الحروب التي لا تخمد إحداها إلا من أجل أن تقوم الأخرى. و هذا كان سبب في أن تترسخ فكرة الموت عند الفرد الجاهلي بصفة مستمرة كما أن الشاعر الجاهلي يعد أعلى مرتبة في قبيلته، و من أجل ذلك فإنه كان يأخذ على عاتقه مهمة الناطق الرسمي باسمها على اعتبار أن الشعر هو ديوان العرب الذي يستوعب كل انجازات القبيلة و يصور حياتها، و كان من أجل هذا الأقدار على تعبير عن فكرة الموت حتى بالنسبة للحيوان كما نجد ذلك في الكثير من القصائد الجاهلية ووصل الشاعر إلى أن العظماء و الشرفاء أيضا غير قادرين على حماية أنفسهم من هذه المصيبة مما جعله يحاول أن يخلدهم بنوع من الشعر و هذا الغرض يسمى بالرثاء.

فما هو الرثاء؟ ما هي أنواعه؟

(1) زكرياء إبراهيم نقلا عن شوبنهاور: مشكلة الحياة . . . 162 .

1. أ - أ / أ - تعريف الرثاء لغة و اصطلاحا

أ / أ - أ) لغة: « من رثى فلان فلانا ، يرثيه رثيا، و مرثيه إذا أبكاه بعد موته ،ورثيت الميث رثيا ، و رثاء و مرثاة و مرثية رثيته مدحته بعد الموت،و بكيته و عددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعرا ويقال ما يرثي فلان لي ، أي ما يتوج و لا يبالي.»⁽¹⁾

من العرب من يقول: « رثأت و ليس بالأصل، و من أسباب الرثية : وجع المفاصل و يقال إرتثأ في رأيه أي يخلط »⁽²⁾

و من خلال هذا التعريف اللغوي للرثاء نلاحظ أن للرثاء معنيين معنى أول يقصد به المدح بعد الموت و يكون بذكر مناقب و محاسن الميث تخفيفا لوجع الصدمة و تذكيرا بأعمال الميث.

أما المعنى الثاني هو الوجع و الألم الشديد الناجم من جراء الفراق فنجده قريبا جدا من المعنى الشائع .

أ / أ - ب) اصطلاحا: يقول قدامة بن جعفر: « ليس بين المرثية و المدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لمالك، مثل كان و تولى و قضى نحبه و ما أشبه ذلك هذا ليس يزيد في المعنى، و لا ينقص منه لأن تأبين الميث إنما هو بمثل ما كان يمدح في حياته »⁽³⁾

نرى أن قدامة يرى أن الرثاء إنما هو مدح و لكن بألفاظ تدل عليه و لولا هذه الألفاظ لكان مدحا ثم إن الرثاء إنما هو مدح لخصال الميث في حياته.

(1) جمال الدين ابن منظور ،: خال رشيد القاضي بيروت لبنان ط 1 2006 . () .

99 - 101 .

(2) مقاييس اللغة ، مجلد 6 : عبد السلام محمد هارون دار الجبل ،بيروت. . - 488

(3) : : ، دار الكتب العلمية، بيروت ،د. . 118

كما عرفه كثيرون غير قدامة بن جعفر فقد أضاف ابن رشيق على تفسير قدامة للرثاء فقال: « و سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة و مخلوطا بالتلهف و للأسف و الاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا »⁽¹⁾

إن ابن رشيق لم يصف كثيرا على قدامة فالرثاء بالنسبة له هو نتيجة للألم و التفجع على الميت خاصة إذا كان الميت شخصاعزيزا أو شخصية عظيمة.

و من خلال تعريف قدامة و ابن الرشيق نستخلص أن الرثاء في مفهومه العام يمثل لنا صورة واحدة و هي صورة الزوال و عدم الرجوع - و أن الرثاء لا يختلف عن المدح إلا في ألفاظ تدل على الموت و الألم و الأسى و الحزن، فإن كان المدح عبارة عن ذكر محاسن الممدوح و تعداد مناقبه و فضائله فإن الرثاء يكون كذلك، و لكن نقطة الفصل تكون في أن الممدوح يتمتع بالحياة على غرار المراثي الذي يكون هالكا، و من هنا نستخلص أن الرثاء و المدح يلتقيان في نقطة واحدة حيث كان الجاهليون يعتزون ويفتخرون بها و هي الخصال الحميدة و الأفعال الكريمة و الشجاعة و الوفاء التي كانت مثلهم الأعلى، فكانوا يمدحون موتاهم بقصائد تعبر عن صدق العاطفة لأنها نابغة من القلب و لأن الشعراء عاشوا تلك التجربة.

II. ترجمة الخنساء

يعد غرض الرثاء من أهم الأغراض الشعرية التي عرفها العرب في العصر الجاهلي، و قد وردت إلينا أشعار في هذا الغرض و خاصة تلك التي قالها المهلهل و الذي يعد من أوائل شعراء الجاهلية الذين قالوا في هذا المجال، و بطبيعة الحال فهذا النوع من الغرض يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة النفس البشرية ذاتها و ما تتميز به من عواطف و أحاسيس لا يمكن كتمها حيال فقدان عزيز، و لما كانت المرأة أكثر حنانا و حبا و بكاء، اشتهرت

الخنساء بقول الشعر في هذا الغرض و لا يكاد يماثلها أو ينافسها أحد في هذا الميدان و هذا نظرا لما قدمته من إنتاج شعري في هذا المجال خاصة في مرثيتها الرائعة على أخويها و أبيها. و هذا ما جعلنا نتساءل عن شخصية هاته الشاعرة؟

نسبها : « هي تماضر بنت عمر بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر و اسمها تماضر»⁽¹⁾ و يذكر النقاد بأنها كانت رائعة الجمال لذلك لقيت بهذا اللقب « و الخنساء لقب غلب عليها لقيت به تشبيها لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها»⁽²⁾ و قال آخر عنها : «فالخنساء مؤنث الأخنس و الخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة و يقال لها خناس أيضا، قال الحصري في كتاب 'زهر الآداب ' (مح3: 241) و إنما لقيت الخنساء كناية عن الظبية»⁽³⁾ و المعلوم أن العرب تشبه النساء بالظباء في جمالهن و كبر عيونهن ، و كانت قبيلة 'سليم' التي تنتمي إليها الشاعرة إحدى أهم و أقوى قبائل البدو في الحجاز. و تذكر المصادر العربية أن الشاعر دريد بن الصمة أحبها و طلبها من أبيها و لكنها رفضته . "فخطبها رواحة بن عبد العزى فولدت له عبد الله المعروف 'بأبي شجرة' ثم اقترنت للمرة الثانية بمرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له زيدا و معاوية و عمر»⁽⁴⁾

عاشت الخنساء أحداث مؤلمة جعلت منها مثالا أعلى للحنن و البكاء حيث قتل أبوها و أخوها معاوية و صخر إثر معركة لهم . و كان صخر أكثر من رثته و توفي أولادها الأربعة إثر واقعة القادسية مع جيش المسلمين و لم تحزن عليهم كما حزنت على صخر بل حمدت الله على استشهادهم .

129- 130

(1) الأصبهاني أبو الفرج . 13

(2) ديوان الخنساء دار صادر بيروت 5

(3) لويس شيخو : أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت . 1896 . 7

(4) حنا الفاضوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الجيل ، لبنان ط1 1986 . 289

III. أ / أ - ب (أنواع الرثاء

الرثاء غرض من أغراض الشعر الغنائي اتسع و ازدهر في العصر الجاهلي «و هو التأسف على الميت و ذكر مناقبه و مآثره و الرثاء في الحقيقة مديح الميت»⁽¹⁾ و بهذا المفهوم كان الجاهليون يرثون موتاهم بالخصال الحميدة كالشجاعة و الكرم و الوفاء و غيرها من الصفات الشائعة في الجاهلية فألفوا بذلك أشعار تخلد ذكراهم بتعداد مزاياهم و الإشادة بفضائلهم و للرثاء أنواع كثيرة منها : النذب ، التآبين ، العزاء .

أ / أ - ب / أ - النذب :

«هو البكاء و التفجع و النواح و العويل على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة كثيرة الحزن تستمطر الدموع في العيون فإن بكى الشاعر الميت و تفجع عليه كان منادب»⁽²⁾ فمن عادات الجاهليين البكاء و النواح و ذرف الدموع للتعبير عن الحزن الشديد على الميت، و لتعظيم المصيبة و هول الحادثة لإبراز مكانة الفقيد بين قومه، و كانت نسوة الجاهلية يعبرون عن حزنهم على الميت بلطم الخدود و وضع الرؤوس بالتراب و لا يلبسون الملابس ذات الألوان الزاهية لنذب الميت. و النذب على أنواع نجد نذب الأهل و الأقارب ، و نذب الشعراء أنفسهم ، نذب الرسول صلى الله عليه و سلم نذب الدول .

(1) : دراسات في الأدب الجاهلي النشأة و التطور و الفنون و الخصائص ، منشورات جامعة باجي مختار عنابة 2006 . 106

(2) 106

أ / أ - ب / أ - أ) نذب الأهل و الأقارب : هو من أقدم صور النذب و النواح و ذلك لأن الجاهلية كانت دائما في صراع مستمر مما يؤدي إلى فقدان كل يوم شخصا و هذا ما قاله شوقي ضيف : قكل يوم يخلف وراءه صرعى و كل صريع تندبه النوادب من أهله و أفراد قبيلته⁽¹⁾ وهذا اللون من الرثاء يصور لنا حالة الجاهلية و كيفية حزنهم على أفرادهم ، آبائهم و أبنائهم و هذا ما يتأكد عند المتتبي في رثائه لجدته فيقول :

ألا لا أري الأحداث مدحا و لا ذما فما بطشها جهلا و لا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدي و يكري كما أرمي

لك الله من مفجوعة بحبيبتها قتيلة شوق غير ملحها وصما⁽²⁾

فشاعر في هذه القطعة الرثائية يعبر عن آلامه و حزنه على فراق جدته فاستعمل ألفاظ تدل على حزنه و فجعه و ألمه على موت جدته .

و كذلك نجد قول أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي في ولده

«يليت عضامك و الأسى يتجدد و الصبر ينفذ و البكاء لا ينفذ

يا غائبا لا يرتجى إيباه و لقائه دون القيامة موعد

و ما كان أحسن ملحدا ضمنته لو كان ضم أباك ذاك الملحد»⁽³⁾

و هذا النوع من الرثاء يصور لنا حالة الحزن الشديد الذي يعانیه الأفراد على أهلهم و ذلك من خلال قول عبد ربه حيث يبين أن الصبر يمكنه أن ينفذ

(1) ضيف ، فنون الأدب العربي ، الرثاء . دار المعارف ، القاهرة ط 4 14

(2) : الديوان، ج1 : مصطفى سبيتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط . 218

(3) ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، ج3 ، تح ابراهيم الأبياري دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، دط ، ص 250

أما البكاء و الدموع الغزار لا تنفذ و غيرها من الألفاظ التي تدل على حزنه على فراق ابنه .
 أ / أ - ب / أ - ب (نذب الشعراء أنفسهم « إذا كان الشعراء قد ندبوا أهلهم و ذويهم
 فأولى لهم أن يندبوا أنفسهم حين تحين ساعة الموت و لا يجدون لهم ملجأ و كثيرا ما ندبوا
 أنفسهم منذ العصر الجاهلي »⁽¹⁾ فالشعراء يندبون أنفسهم عند إحساسهم باقتراب أجلهم و في
 شدة مرضهم فهو لا يظهر مدى حزنه و إنما صفاته و كذلك بعض النصائح مفادها أن
 الحياة لا تدوم لأحد، و يقول أبو العتاهية في مرضه الذي مات فيه :

«هون الأمر تعش في راحة فلما هونت إلا سيهون

ما يكون العيش حلو كله إنما العيش سهول و حزون

كم بها راکض أيامه و له من ركضه يوم حزون»⁽²⁾

فالشاعر يرى أن العيش لا يكون دائما هنيئا و جميلا فلا بد أن تكون هناك تجربة قاسية و
 تجربة جميلة فالحياة عنده يوم لك و يوم عليك .

أ / أ - ب / أ - ج (نذب الدول : منذ العصر الجاهلي منذ عهد قيس و عنتره بكى
 الشعراء الديار ووصفوها و امتد هذا إلى عصرنا الحاضر ، و لقد اتخذ هذا النوع من الرثاء
 صورا متعددة و أشكالاً متنوعة لجوهر واحد و هو إبداء الأسف و الحزن لسقوط الدولة
 الإسلامية فبكوا و أبكوا غيرهم بدموع نابغة من القلب »⁽³⁾ و هكذا راح الشعراء يصورون
 الخراب و الدمار نتيجة إحساسهم بالفاجعة التي أصابت مدنهم و أصابت أهاليهم و من
 و أجمل ما قيل في رثاء البصرة.

(1) شوقي ضيف :

30 . . .

(2) أبو العتاهية : الديوان، تح: أنطوان الفوال ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، دط ، ص 395

(3) : شعر العربي أو جراحات القلوب ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ط2

بيان ما حل بها من دمار أحدثته «ثورة الزنج بعد أن انتهكوا حرمت الإسلام و عاثوا في الأرض فسادا»⁽¹⁾

و قال ابن الرومي :

«زاد عن مقلتي لذيق المنام شغلها عنه بالدموع السجام

أي نوم من بعد ما انتهك الزنج جهارا محارم الإسلام

أقدم الخائن اللعين عليها و على الحقد أيما الأقدام»⁽²⁾

أ / أ - ب / أ - د (نذب الرسول صلى الله عليه و سلم : « حينما أفل كوكب الرسالة الإسلامية الذي أضاء ما بين المشرق و المغرب هلع الصحابة رضوان الله عليهم و فزعوا لهذا النبأ المفزع و كاد عمر بن الخطاب أن لا يصدق لولا أن رده أبو بكر إلى صوابه و خرج الصحابة يصلون عليه و يشيعونه إلى مثواه العطر بقلوب واجفة و عيون باكية»⁽³⁾

و كانت ابنته تتدبه و تقول:

«إنا فقدناك فقد الأرض وإبلها و غاب منذ غبت عنا الوحي و الكتب

فليت قبلك كان الموت صادقنا لما نعتت وحالت دونك الكتب»⁽⁴⁾

فابنة الرسول صلى الله عليه و سلم تتدبه بألفاظ تبين مدى حزنها على أبيها فقد شبهت غيابه عنهم بغياب الإبل عن أرضها و يقول في رثائه حسان بن ثابت :

«كنت السواد للناظري فعمي عليك الناظر

(1) أمين أبو ليل : تاريخ الأدب العربي العباسي الثاني ، ج2 ، الوراق للنشر و التوزيع ، ط1. 2007. 184
 (2) الديوان ، ج3، تح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1994 1 338
 (3) شوقي ضيف : 35 .
 (4) ابن عبد ربه: العقد الفريد - 236

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر»⁽¹⁾

حسان بن ثابت كان شديد الحزن على الرسول صلى الله عليه و سلم حتى أنه شبه بالسواد العين فبذها به ذهب بصر حسان .

أ / أ - ب / ب (التآبين : هو النوع الثاني للرثاء الشائع في الجاهلية و هو :

«الغناء على الشخص حيا أو ميتا ، ثم اقتصر على الموتى فقط ، إذ كان من عادة العرب في الجاهلية أن يقفوا على قبر الميت فيذكروا مناقبه و يعددوا فضائله و يشهروا محامده و أصبح في سننهم و عاداته»⁽²⁾ فمن عادات الجاهلية أن يعددوا الفضائل الحميدة للفارس الشجاع الذي يحميهم و يقدم لهم يد العون سواء كان هذا الشخص حيا أو ميتا ثم تطور و أصبح يقتصر على الموتى فقط .

و التآبين أيضا له أنواع مثل الندب فنجد : تآبين الخلفاء و الوزراء ، تآبين العلماء و الأدباء ، تآبين الأشراف و الأجواد .

أ / أ - ب / ب - أ (تآبين الخلفاء و الوزراء : « و تآبين الخلفاء يتضح في تآبين أول خليفة للرسول صلى الله عليه و سلم ، و هو أبو بكر الصديق الذي حمل لواء الدعوة الإسلامية من بعده و تناول مصابيحها فأضاء بها شرقي الجزيرة و غربيها»⁽³⁾

و هنا يتبين لنا الحزن و الأسف الشديد على فقدان رجل من الرجال العظماء الذين عاشوا مع الرسول صلى الله عليه و سلم و حمل معه لواء الرسالة الإسلامية و ساعده على نشرها فيقول فيه حسان بن ثابت:

«إذا ذكرت شجوا من أخي ثقة فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

(1) : الديوان .تح عمر فاروق ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت - 88 .
(2) شوقي ضيف : الرثاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 . 14
(3) شوقي ضيف : . . 54

التالي الثاني المحمود مشهده و أول الناس طرا صدق الرسلا

و الثاني اثنين في الغار المنيف و قد طاف العدو به إذ سعد الجبلا»⁽¹⁾

فحسان بن ثابت في قصيدته هذه يحاول أن يذكر مناقب و فضائل أبي بكر الصديق و ما يتميز به من صفات كالشجاعة ، العدل ، و الوفاء و غيرها ، و ما تركه من ألم و فراغ في قلوب المسلمين .

أ / أ - ب / ب - ب (تأبين العلماء و الأدباء: «طبيعي أن يكون للعلماء مكانتهم في في التأبين و الرثاء (..) و قلما مات صاحب مذهب في الدين أو صاحب أثر بارز في تأليف الشريعة إلا نعاه الشعراء»⁽²⁾ و هكذا نال العلماء مكانة كبيرة في شعر الشعراء و نجد من ذلك قول جرير يرثي الفرزدق :

«فجعنا بحمال الذيات ابن غالب و حامي تميم عرضها و المراحم

بكيناك حدنان الفراق و إنما بكيناك إذا نانت أمور العظام»⁽³⁾

و هنا الجرير يبين مدى حزنه على الفرزدق فاستعمل لذلك ألفاظ تدل على الحزن كفجعنا و غيرها و ألفاظ أخرى تدل على عظمة الفرزدق و الفراغ الذي تركه وراءه .

أ / أ - ب / ب - ج (تأبين الأشراف و الأجواد .

«لم يترك شعراؤنا شريفا على مر العصور دون أن يقفوا بقبره و يثروا مدامعهم و كان مقياس الشرف في الجاهلية التمييز في القبيلة بالكرم و الشجاعة و السيادة»⁽⁴⁾

(1) الديوان . . . 195

(2) شوقي ضيف : 70 . . .

(3) جرير : الديوان . محمد ناصر الدين . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . . . 405

(4) شوقي ضيف : 62 . . .

فكانوا يشيدون بشجاعة فرسانهم و يتغنون بانتصاراتهم في الحروب و ها هو حسان بن ثابت يقول في رثاء الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

«إن ثمس دار بن أروى منه خليه باب صريع و باب مخرق خرب

فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها و يأوي إليها الذكر و الحسب

يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم لا يستوي الصدق عند الله و الكذب»⁽¹⁾

يتضح في هذه الأبيات تأثر الشاعر بفقدان خليفة كان يتميز بشجاعته الكبيرة و كرمه و جوده و صدقه و غيرها من الصفات التي امتاز بها عثمان رضي الله عنه

فهذا النوع من الرثاء - التأيين - هو بمثابة العرفان بالجميل للأشراف و القادة و العلماء على ما قدموه للبشرية و الأمة الإسلامية من فضائل جمة و ما تركه فراقهم من لوعة و أسى في قلوب أحبائهم.

أ / أ - ب / ج) العزاء : «و أصله الصبر ، ثم اقتصر لاستعماله في الصبر على كارثة الموت و أن يرضى من فقدان عزيز بما فاجأه القدر ، و أن يتقبلوا الحياة كما هي على أنها دار زوال ، و ليست دار بقاء ، و ارتقاء و استمرار»⁽²⁾

و على حسب ما اعتقد أن مصطلح و مفهوم العزاء لم يظهر و لم يفهم إلا بعد مجيء الإسلام و إيمان الناس بما يسمى قضاء و قدر و اليوم الآخر و هو أيضا على أنواع فنجد التعزية، العزاء في الأهل ، العزاء و التهنئة .

أ / أ - ب / ج - أ) التعزية : « فإن أحق من تعزى و أولى من تأسى و سلم لأمر الله و قبل تأديبه في الصبر في نكبات الدنيا و تجرع عصص البلوى ، من تتجز من الله وعده و فهم عن كتابه أمره و أخلص له نفسه و اعترف له بما هو أهله» (1)

و عليه فإن الموت هي حق على كل إنسان في هذا الكون و الصبر خير وسيلة للتغلب على نكبات الحياة ، و لقد شاركت المرأة الرجل الرثاء ، و المرأة في هذا المجال أكثر براعة من الرجل و هذا ما لحظناه في شعر الخنساء حيث تقول :

«لولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

و ما سيكون مثل أخي و لكن أعزى النفس عنه بالتأشي» (2)

و يتضح من خلال هته الأبيات تأثر الخنساء بوفاة أخيها و فقدانها القائد المغوار .

أ / أ - ب / ج - ب) العزاء في الأهل : «حيث كانت العادة في الجاهلية أن يعزي الشاعر نفسه إزاء من يقف من أهله و أشراف قبيلته، فعزأوه، قبل كل شيء إلى نفسه ثم إلى من حوله» (3)

إن الصبر هو الوحيد الذي يجعلنا نمسك أنفسنا عند فقدان عزيز و أجمل ما تمثل به معاوية عند الموت بهذا البيت.

«هو الموت لا منجي من الموت و الذي تحاذر بعد الموت و أنكى و أفضع» (4)

و من ما جاء في عزاء الأبناء مرثية للمنتبي في أبي الهيجاء بن سيف الدولة فبكاه المنتبي و عزاه بقصيدة من قصائده و توجه إلى سيف الدولة قائلاً:

(1) ابن عبد ربه . العقد الفريد . . . 175

(2) الديوان . . . 62

(3) شوقي ضيف : . . . 91

(4) ابن عبد ربه . العقد الفريد . . . 175

«عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنك نصل و الشدائد للنصل

مقيم من الهيجاء في كل منزل كأنك من كل الصوارم في أهل»⁽¹⁾

فهو يتأسف و يتحسر على موت ابنه سيف الدولة

أ / أ - ب / ج - ج) العزاء و التهنية : كان العرب عندما يفقدون سلطانا أو خليفة يعوضون خسارة أو يعوزن أنفسهم بتهنية الخليفة أو السلطان الجديد فيقول شوقي ضيف :

«فالسلاطين كانوا يتوارثون دولهم و إماراتهم ، فكان الشاعر يقوم بين يدي الخليفة أو السلطان الجديد يعزیه في أبيه أو يهنئه بحكومته أو دولته»⁽²⁾

و في هذا المجال يقول أبو تمام يهنئ الواثق بالخلافة و يعزیه بالمعتصم أبيه :

«ما للدموع تروم كل مرام و ما للجفن تاكل هجعة و منام

يا ثرية المعصوم تريك مودع ماء الحياة و قاتل الإعدام

إن الصفائح منك قد نضدت على ملقى عظام لو علمت عظام

فتق المدامع أن لخدك جلّه سكن الزمان و ممسك الأيام

و مصرف الملك الجموح كأنما قد زم مصعبة له بزمام

هدمت صروف الدهر أطول حائط ضربت دعائمه على الإسلام

دخلت على ملك الملوك رواقه و تشزنت لمقوم القوام

مفتاح كل مدينة قد أبهت غلقا و مخلي كل دار مقام «

(1) : الديوان . . . 28

(2) شوقي ضيف : . . . 96

و هكذا كان يعزي الشاعر قريبه بعيون باكية و قلوب حزينة .

أ / أ - ب / ج - د) : خروج الرثاء من دائرة الأشخاص

و لم يقتصر الرثاء على الأشخاص فقط بل خرج من هذه الدائرة إلى اتجاهات أخرى فنجد البكاء على بعض المواهب المفقودة كالشباب ، الشيب و كذلك على بعض ما يستأنس به الإنسان مثل الحيوانات و ما يعرف به الإنسان عن نفسه من لهو و مدح و إقبال على الذات و خاصة شرب الخمر ، أو الدمار الذي حل ببعض المدن و الممالك الزائلة ، و ما خلفه هذا الدمار في نفوس هؤلاء الأفراد و القبائل⁽¹⁾.

د1 - البكاء على الشباب : فهذا النوع من الرثاء يدور حول تحصر الشاعر على شبابه الذي ذهب من غير رجعة ، و في هذا الصدد يقول ابن الرومي في أشعار كثيرة يبكي فيها على شبابه :

ب فطاوع الدمع الغزير

"عاصى العزاء عن الشبا

ب و غصنه الغصن النضير ؟

كيف العزاء عن الشبا

ب و عيشه العيش الغزير ؟

كيف العزاء عن الشبا

نعم المجاور و العثير .

بأن الشباب و كان لي

نحوى و لا عين تشير .

بأن الشباب فلا يد

ب فقلبي اليوم الأسير «⁽²⁾

و لقد أسرت به القلو

فالشاعر يبكي على أفضل أنيس له الذي يلازمه دائما و إذا ذهب فهو ضعيف عاجز بدونه قوي شجاع به ألا و هو الشباب.

⁽¹⁾ أبو تمام الديوان : تاهين عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دط . 260

⁽²⁾ : الديوان ج 2 . . . 3

د2 - البكاء على الشيب: و هو التحسر على شبابهم فالشيب فقد القدرة على الأمل و عجزهم عن العمل و في هذا المجال يقول الباحثي في هذه القطعة الرثائية:

«عاديت مرآتي فأذنتها بالهجر ما كانت و ما كنت

كانت تريني العمر مستقبلا و هي تريني الفوت مد شبت

وا عمرا! نوحا لفقدانه سبيان عندي شبت أم مت»⁽¹⁾

الشاعر هنا يبكي شبابه و يتألم على شيبه، فهو يرى بأن الشيب و الموت سيان بل يفضل الموت على الشيب.

د3 - رثاء الحيوانات: فالحيوانات كانت نعم الأنيس للشعراء حيث يستأنسون بها فهي كانت محل ترحاب في منازلهم و ديارهم. و من مستحدث الرثاء في العصر العباسي مرثية ابن العلاف الحسن بن احمد بن بشار في هر له قتله الجيران و كان مما قاله فيه :

«يا هر فارقتنا لم تعد و كنت منا بمنزل الولد

فكيف تنفك عن هواك و قد كنت لنا عدة من العدد

تطرد عنا الأذى و تحرسنا بالغيب من حية و من جرد

تخرج الفأر من مكانها ما بين مفتوحها إلى الشدد

حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا و لم تكن للأذى بمعتقد»⁽²⁾

فالشاعر هنا يعبر عن حزنه الشديد لفقده أعز رفيق له، حيث شبهه بالولد و الحارس الوفي.

(1) . الديوان . 1 . حنا الفاخوري ، دار الجبل ، بيروت لبنان ، ط . 215

(2) امين ابو ليل : تاريخ الادب العربي . . . 84

4د - رثاء الخمر : عرف العرب الخمر منذ الجاهلية فكانوا يلجئون إلى الخمر حتى يتناسوا مأساهم و آلامهم و همومهم و في هذا الصدد يرى حسان بن ثابت أن أيام الجاهلية تدعوا إلى الإقبال على اللذات و خاصة شرب الخمر فقال :

«ممسك بصداع الرأس من سكر ناديته و هو مغلوب قفداني .

لما صحا و تراضى العيش قلت له إن الحياة و إن العيش مثلان

فالشرب من الخمر ما آتاك مشربه و اعلم بأن كل عيش صالح فان»⁽¹⁾

فالشاعر يدعو إلى شرب الخمر حتى ينسى كل همومه و آلامه، فهو إذا صحا من سكره تذكر معاناته و الموت أهون له من هذه الحياة التي تعذبه و تذكره بآلامه .

5د - رثاء الممالك الزائلة : هو اتجاه آخر من اتجاهات الرثاء حيث يقول محمود حسين في هذا الصدد: «حيث كان الشعراء في عصور الأدب العربي اللسان الناطق عن بيان مشاعرهم إزاء رثاء الدول المتهاوية ، و الممالك الآيلة سواء أكانت هذه الديار أطلالا حركتها الرمال أم خياما و بيوتا من الشعر زالت و انمحت»⁽²⁾

و قد امتاز البحثري شاعر الوصف العملاق بإبداع رائعة فنية في رثاء الممالك الزائلة فيقول في رثاء قصر كسرى :

«و تماسكت حين زعزعي الدهر التماسا منه لتعسي و نكسي

و كأن الزمان أصبح محمولا لا هواه مع الأخص الأخص

أذكر نثيهم الخطوب التوالي و لقد تذكر الخطوب و تنسى

(1) الديوان . . . 223

(2) محمود حسين ابو ناجي .

لو تراه علمت أن الليالي جعلت فيه مأتما بعد عرس»⁽¹⁾

فالبحتري في هذه الأبيات ينقل لنا همومه و معاناته النفسية الذي جعل من العمران و الأمجاد هباء.

«إن الموت حقيقة محتومة ، و مشرع لا بد من وروده طال العمر أم قصر ، كما أن الموت انقطاع لهذه السلسلة المتصلة من الأيام و الليالي التي تسمى الحياة ، لهذا سمي الموت 'المنون' و لفظة الموت تعني الهمود و انقطاع الحركة و توقف النشاط و تؤول الدلالة الوضعية للكلمة إلى السكون و كل ما سكن فقد مات»⁽²⁾

و لهذا نرى أن دوافع الرثاء تقريبا هو حزن الشاعر لشخص تربطه رابطة الأخوة أو الأبوة أو رابطة الصداقة أو المودة ، و قد يكون المرثي سيذا أو جماعة تمثل قوم الشاعر. أو يذكر صفات الفقيد من جود و مروءة و كرم و شجاعة يوصلها الشاعر إلى السامعين بطريقة عفوية لأنها حقيقة نابعة من التجربة و عاطفة صادقة عاشها الشاعر ، فهذا النوع من الشعر هو الذي يعبر عن فوالج النفس و نبضات الفؤاد .

(1) الديوان ص 17

(2) مصطفى عبد الشافي الشوري ، شعر الرثاء في العصر الجاهلي . . . 14

الفصل الثاني
في بيان ما في

منها من أجل النظرية
التي هي

النظرية والنظرية
والنظرية والنظرية

النظرية والنظرية
والنظرية والنظرية

إن تأثر تشومسكي بمبادئ اللسانيات التوزيعية، وبأستاذه «هاريس»، كانت معظم كتاباته الأولى لا تتعدى حدود التوزيعية، ولكن ما إن أخرج كتابه الأول البنى التركيبية «Structures Syntaxique»، وبعدما شهدت المفاهيم التوزيعية تطوراً كبيراً إلا أنه لم يدم طويلاً بل بدأت تتراجع عن مركز الصدارة لتحل محلها المفاهيم الجديدة.

ثم كان كتابه أوجه النظرية التركيبية «Aspect of the Theory of Syntax» في عام (1965) بلورة شبه مكتملة للنظرية التوليدية التحويلية. وهكذا حاول تشومسكي التعامل مع اللغة بهدف بناء نظرية لسانية بديلة تكون في الأخير قادرة على وصف اللغة وصفاً دقيقاً تفي بمتطلبات الدال والمدلول.

« ولهذا كانت ثورة تشومسكي في إطار البحث اللساني مفارقة منهجية في الواقع، مفارقة بين النزعة العقلانية التجريبية، ثم كرسنت النتائج المحصل عليها في مجال البحث اللساني لدحض الفكر السلوكي والنزعة التجريبية حول طبيعة الذهن الإنساني»⁽¹⁾

وبهذا أحدث تشومسكي تغييراً وتطوراً في اللغة العربية حيث جاء بمفاهيم جديدة ساعدت على فهم اللغة العربية.

وبهذا « استطاعت النظرية اللسانية التوليدية التحويلية أن تعرج بالبحث اللساني من منهج يتوخى معطيات علم النفس السلوكي إلى منهج عقلي همه إزاحة النقاب عن القدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، والسعي من أجل تعليقه وتفسيره بدلاً من وصفه وصفاً شكلياً .

ونظراً لهذه الأهمية تعد النظرية اللسانية الأوسع انتشاراً، والأكثر توافقاً مع طبيعة اللغة البشرية. ولم تأت هذه النظرية دفعة واحدة بل مرت بمراحل»⁽²⁾

وبهذا ولكي نستطيع التعرف على القواعد التوليدية التحويلية التي نادى بها تشومسكي وفهمها، لابد علينا من الاطلاع على نشأتها وتطورها والمراحل التي مرت بها.

(1) جون سيرل: "تشومسكي والثورة اللغوية" - مقال - مجلة الفكر العربي العدد 8، 9 مارس 1979، ص 124

(2) احمد حساني : مباحث في اللسانيات، ص 119 .

حيث إن تشومسكي (Avram Noam Chomsky) « قد جسد المرحلة الأولى في كتابه «البنى التركيبية» الصادر عام 1957 وأطلق على هذه النظرية فيما بعد اسم النظرية الكلاسيكية (Classical theory) والمرحلة الثانية ظهرت إلى حيز الوجود مع ظهور كتابه «مظاهر النظرية التركيبية» «Aspects of the Theory of Syntax» في عام 1965، وتعرف هذه النظرية بالنظرية النموذجية «Standard theory» المرحلة الثالثة وتبلورت بعدما نشر تشومسكي ثلاث مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة والبنية العميقة في نظريته والتي جمعها فيما بعد في كتاب واحد بعنوان «دراسات الدلالة في القواعد التوليدية» وذلك سنة 1972 «Studies on Semantics in Generative Grammar»

وبات هذا الشكل الجديد يعرف بالنظرية النموذجية الموسعة

(1) «(Extended Standard theory)»

وبعد الحديث عن هذه المراحل بصورة موسعة شاملة، نحاول الآن أن نخصص ونتوسع في قواعد النظرية التوليدية التحويلية ونبدأها بالقواعد المحدودة الحالات

IV. القواعد المحدودة الحالات :

يعتبر نموذج القواعد محدودة الحالات «finite state Grammar» أول النماذج وابتسطها حيث وصفها تشومسكي بقوله: « نفترض ان لنا آلة (Machine) ذات عدد محدود من الحالات الداخلية (Internal states) المختلفة ونفترض أن هذه الآلة تنتقل من حالة إلى أخرى بإنتاج رمز معين (كلمة انجليزية مثلا)، فان هذه الحالات هي الحالة الاستهلاكية (Initial state) والحالة الأخرى هي الحالة الأخيرة (final state) ونفترض أن الآلة تبدأ من الحالة الاستهلاكية وتمر عبر سلسلة من الحالات (منتجة كلمة واحدة في كل انتقال لها) . وتتوقف عند الحالة الأخيرة عندئذ نطلق على سلسلة الكلمات المنتجة اسم الجملة» (2)

كما أن هذا النموذج ينعت بالنموذج الماركوفي (Model de marcov) « وهي سلسلة من الاختيارات تتم في السياق الخطي للكلام، أي كل اختيار لاحق يحدده اختيار العناصر السابقة»⁽¹⁾

وتوصل تشومسكي إلى هذا من خلال تصوراته حول مهام علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. وذلك من خلال طرح التساؤلات الثلاثة التي كانت كالاتي:

« * ما الذي يدخل في علم اللغة: وتعبير أدق ما المجالات التي ينبغي أن يحددها بأنها صالحة له؟

* هل يمكن عند البحث أن يفصل الشكل عن المادة أي هل يمكن أن تدرس البنية الشكلية للغة لذاتها:

- وبهذا في هذا السياق: هل يمكن أن توصف البنية الشكلية في النظرية دون تمسك بالمعنى مؤقتا على الأقل ؟ »⁽²⁾

ومن هذا المنطلق وجد تشومسكي في علم اللغة الوصفي مناهج متطورة جعلها كنقطة ينطلق منها في بحثه الخاص باللسانيات التوليدية التحويلية متمسكا كذلك بفكرة هاريس " الأساسية - بلومفيلد من قبل أيضا- وهي أنه من الممكن وصف النحو دون اللجوء إلى المعنى وهكذا نجد تشومسكي في المرحلة الأولى اقرب إلى النزعة الشكلية التوزيعية التي انفرد بها علم اللغة الوصفي الأمريكي.

وكان الهدف الرئيس والأول لتشومسكي هو توليد غير محدود أو غير نهائي من الجمل من جمل مقدمة، وهذا ما ذهب إليه " بريجيتيه بارتشت" حيث قال: « وفي عمله دراسة: " مارفوفوتيمية للعبرية الحديثة" (1951) رسم هدفه إجمالا وهو توليد كم نهائي من الجمل

⁽¹⁾ احمد حساني: مباحث في اللسانيات ص120

⁽²⁾ بريجيتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ت.ع. سعيد حسن بحيري. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2004. ص270.

وذلك من الجمل التي قدمت وينبغي على النحو المصوغ لذلك أن يكون أداة بالغة الفاعلية. وشديدة الاقتصاد وغاية في اللطف من الناحية الرياضية⁽¹⁾»

ويؤكد على أن توليد هذه الجمل لا تكون بطريقة عشوائية وإنما بطريقة رياضية منطقية يحكمها نحو خاص.

ويتكون مثل ذلك النحو حسب تشومسكي «من أقوال نحوية عن الترتيب المجاز للوحدات في الجمل - من قواعد حول الترتيب المورفيمي - القسم الرئيسي من ذلك المؤلف - من سلسلة من أقوال مورفونولوجية، تحول كل تتابع مورفيمي في متوالية من الفونيمات واستخدام للتطبيق التقني أوصاف العقد مثل: NP، VP، PP (للمركب الاسمي، المركب الفعلي، المركب الحرفي على التوالي) وغيرها. وقدم تبعية المكونات من خلال أقواس متباينة الأشكال - () { } < > - أي ليس بعد من خلال رسوم شجرية⁽²⁾» تطورت نظريته هذه ففي «سنتي 1956-1957 م ظهرت تلك المؤلفات التي أثارت انتباه عالم التخصص، وبخاصة الصياغة التي أعدت للغويين، وتوفرت لهم أيضا بشكل أفضل من " الأبنية النحوية Systematic structures " (1957). وهدف الكتاب بناء نحو لتوليد الجمل، ووصف خواص الأنحاء، وأخيرا تأسيس نظرية للبنية اللغوية دون صلة بلغات مفردة⁽³⁾»

والنحو حسب تشومسكي « إذا كان النحو لا بد أن يتألف من مجموعة من القواعد (rules) المحددة التي تعمل من خلال عدد محدود من القواعد ولا بد أن يكون قادرا على توليد عدد غير محدود من الجمل، فهذا يستوجب أن تكون بعض القواعد قابلة للتطبيق على الأقل أكثر من مرة في توليد الجملة الواحدة وقد أطلق على هذا النوع من القواعد اسم القواعد

(1) بريجيت بارثنت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ت.ع سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ط1 2004م ص271.

(2) المرجع السابق ص 271

(3) المرجع السابق ص 271.

الفصل الثاني: مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على أسلوب الرثاء

التكرارية (recursive rules)»⁽¹⁾ ، فالنحو عنده هو الذي يستطيع أن يكون قادرا على توليد عدد غير محدود من الجمل من جمل مقدمة له.

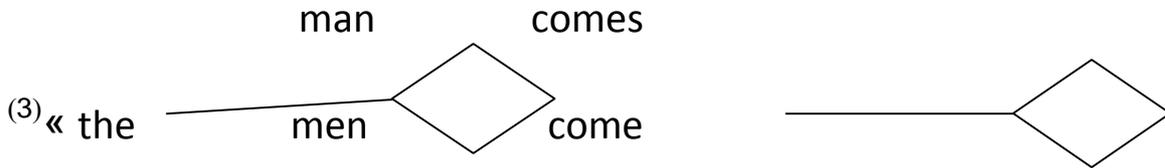
وقد بين تشومسكي « أن القواعد المحدودة الحالات تسعى إلى توليد الجمل عبر سلسلة من الاختيارات التي تنطلق من اليسار إلى اليمين، إذ بعد اختيار العنصر الأول من السلسلة فالاختيار الذي يلي سوف تحدده العناصر التي تسبقه مباشرة»⁽²⁾

وقد مثل تشومسكي القواعد المحدودة الحالات بهاتين الجملتين:

1- The man comes / جاء الرجل

2- men come / جاء الرجال

كما يلي:



«الشكل رقم 1»

ولقد أكد تشومسكي أنه يمكن أيضا توسيع هذه القواعد لإنتاج عدد غير محدود من الجمل وذلك " بإضافة «أنشوطات مغلقة» (closed loops) وتعرف هذه الظاهرة - كما رأينا آنفا- بالتكرارية (recursion)، وعليه فان هذه القواعد المحدودة الحالات التي ولدت الجملتين السابقتين بإمكانها أن تولد الجمل التالية:

(1) احمد مومن اللسانيات النشأة والتطور . المرجع السابق ص 216

(2) المرجع السابق ص 216

(3) 217

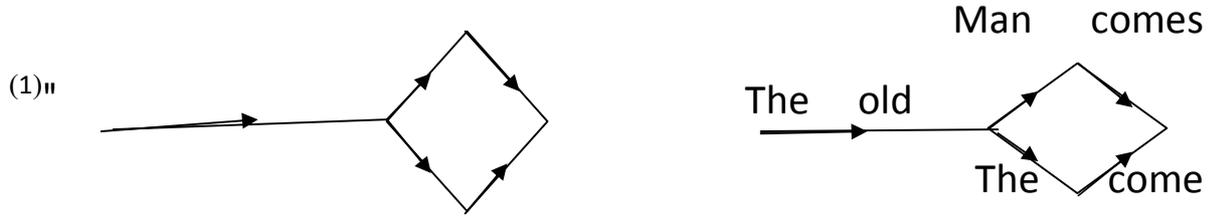
(3) The old man comes.

(4) The old old man comes.....

(5) The old men come.

(6) The old old men come.....

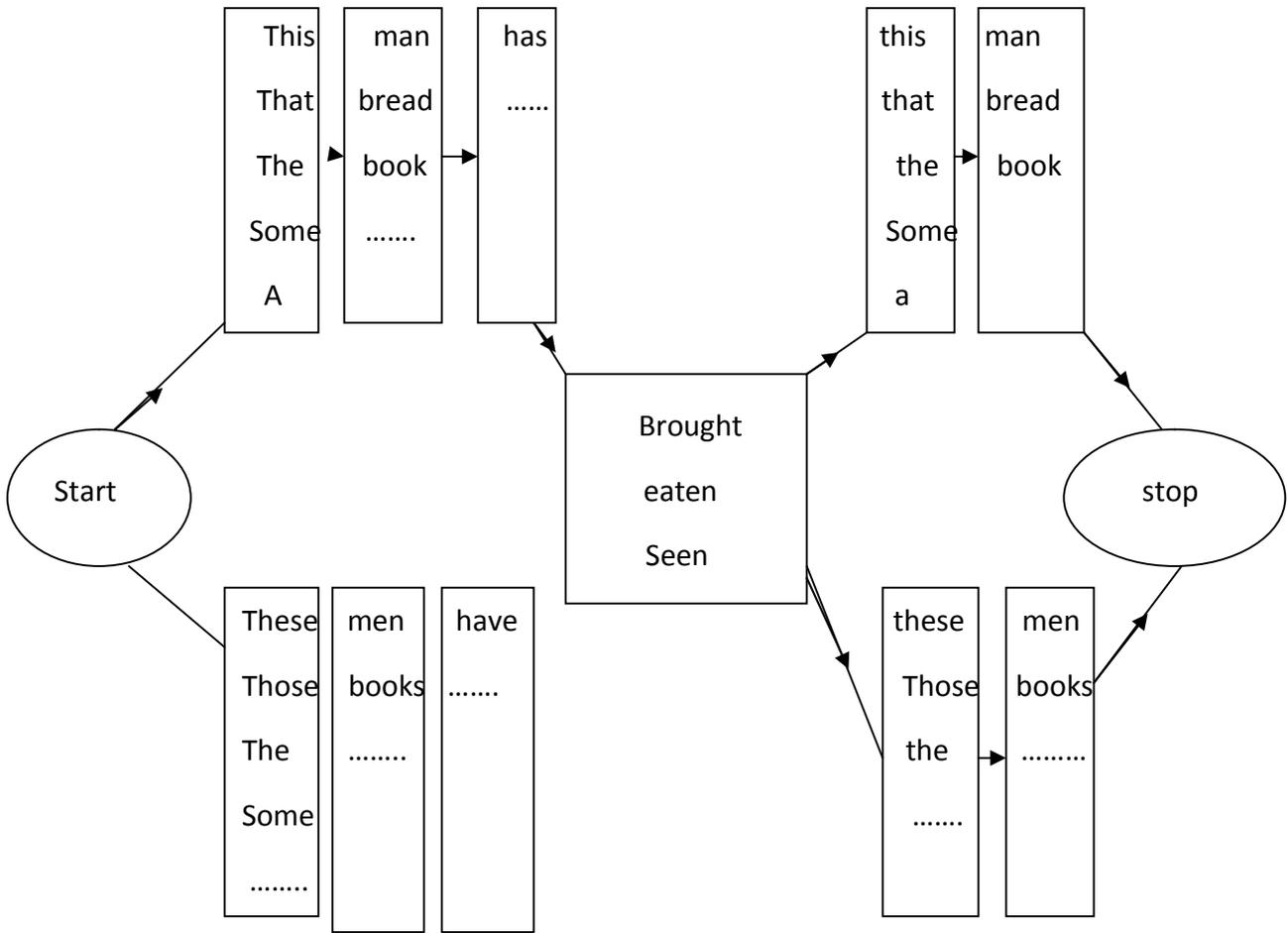
ولأن هذه الجمل لا تختلف عن الجملتين (1) و(2) إلا باحتواء صفة "العجوز" "old" أكثر من مرة فقد قدمها تشومسكي في هذا الشكل الذي يحتوي على أنشطة مغلقة



«2»

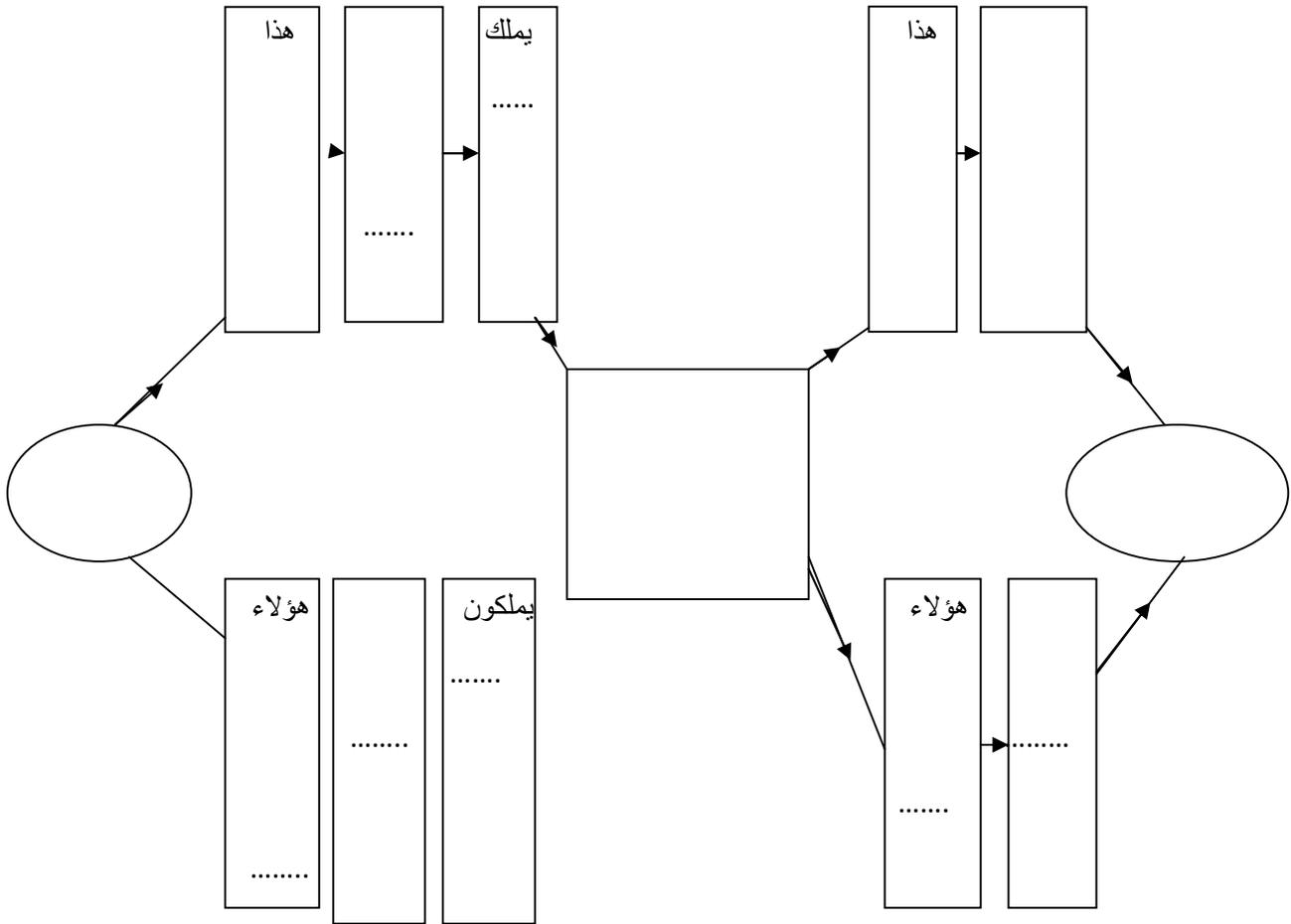
« عرض تشومسكي هذا النوع من القواعد ليبين بأن اللغات البشرية غير قابلة للوصف بالطرائق المتبعة من قبل الوصفيين وهذا ما أشار إليه في الهامش بأن النموذج اللساني الذي قدمه هوكيت (Hockett) في مؤلفه "كتاب الفونولوجيا" ما هو إلا لون من القواعد المحدودة الحالات كما أشار كذلك إلى أن هذه الآلات التي تنتج لغات بهذه الطريقة تعرف في الرياضيات باسم: قواعد ماركوف المحدودة الحالات (finit state Markov processes) ولكي نبين أكثر صورة القواعد المحدودة الحالات، نقدم الشكل البياني الذي جاء به ليونز:

(1) احمد مومن اللسانيات التشأ والتطور ص 217- 218



(1) "الشكل رقم 3" (1)

(1) اهد مومن اللسانيات التشأة والتطور ص: 218



ترجمة الشكل رقم 3

من خلال هذا الشكل نلاحظ أنه: « إذا بدأنا باختيار كلمة (this) من الخانة الأولى يمكننا أن نختار كلمة (man) من الخانة الثانية من بين الكلمات الأخرى التي يمكن أن تقع بعد (this) ثم علينا أن نختار الفعل المساعد (has) الذي يرد بعد (this man) وهكذا»⁽¹⁾

رغم التطور الذي شهده هذا النموذج الأول من القواعد إلا أنه قدم له نقود أدت إلى ظهور نموذج ثان ومن بين النقود التي وجهت إلى هذا النموذج مايلي:

« ثم أن لغة ذات حالات محدودة (finite state language) لا تتولد إلا على مستوى واحد من خلال توليد يبدأ من اليسار إلى اليمين هو أمر غير مناسب للغات طبيعية»⁽²⁾ وأضاف الى ذلك: «وينبغي هنا أن يكتفي بتعليل ذلك بأن تلك الآليات الذاتية الحركة معقدة للغاية، وتولد أيضا ما هو أكثر من الجمل النحوية فقط وكما أبرز فيت (weydt) (1976) توجه جدل تشومسكي بخاصة ضد الصحوة السائدة آنذاك في معهد ماساشوتس فيما يتعلق بالسيبرانية (Kybernetik) التي توسم فيها إلى حين رؤى عميقة فاصلة في بنية الفكر»⁽³⁾

(1) احمد مومن اللسانيات التشأ والتطور ص:219

(2) بريجيتيه بارتشت :مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، ص273

(3) المرجع السابق، ص273

V. القواعد التركيبية:

يعد الأنموذج الثاني من نماذج النحو التوليدي التي قدمها تشومسكي في «البنى التركيبية» سنة 1957 وقد أطلق عليه تشومسكي «على النموذج الثاني الذي اعتمده في تحليل اللغة اسم القواعد المركبية (phrase structure grammar) وباختصار PSG وتستطيع هذه القواعد أن تولد من الجمل ما لا تستطيع أن تولده القواعد المحدودة الحالات (FSG) ولئن كانت هذه القواعد تشبه إلى حد بعيد طريقة التحليل إلى المكونات المباشرة

(Immediate Constituents Analysis) وطريقة الاعراب التقليدية (passing) غير أن تشومسكي أضفى عليها طابعا علميا باستعمال قواعد توليدية مبنية على الرياضيات والمنطق الرمزي»⁽¹⁾

حيث جعل من النموذج الثاني أكثر فعالية من النموذج الأول وجعله يشبه الرياضيات التي تعتمد على المنطق في تحليلها، كذلك هو الحال بالنسبة لتحليل الجمل.

ويقول ليونز في هذا الصدد: «إن مفهوم البنية المركبية - يشبه مفهوم الأقواس (Bracketing) في الرياضيات أو المنطق الرمزي- فإذا كانت لدينا هذه الصيغة.....س+(ع × ص) فإننا نعرف أن عملية الجمع لا بد أن تسبق عملية الضرب، وعلى خلاف ذلك فإن (س × ع) + ص تعد مماثلة ل: (س × ع) + ص حيث تسبق عملية الضرب. وهكذا فإن إجراء العمليات تؤدي إلى نتائج مختلفة..... ومثال تشومسكي في هذه العبارة التالية «old men and women» (النساء والرجال والعجائز) التي يمكن فهمها «(old men) and women» أي (الرجال العجائز) والنساء أو «old (men and women)» أي (الرجال والنساء) العجائز»⁽²⁾

⁽¹⁾ احمد مومن اللسانيات التشأة والتطور ص:220

⁽²⁾ المرجع السابق ص:221

وهذا النوع من القواعد سماه تشومسكي بالنحو النسقي وهو ليس ببعيد عن نحو شيخه هاريس، وهو التحليل بالعودة إلى المكونات المباشرة. إلا أنه يختلف قليلا عنه حيث «بيد أنه يتباين عنه في كونه لا يقيم تحليله على شكل تسلسلي هرمي، ذي طبقات، كل طبقة تمثل مؤلفا مباشرا (أي مورفيما) بل انه يجسده على شكل شجرة (un arbre) ، تعكس لنا هذه المؤلفات المباشرة، وكذا العلاقات القائمة بينها بشكل واضح مجرد ودقيق، ويدعى هذا التشجير "المؤشر النسقي" (L'indicateur syntagmatique).

وتحلل الجملة وفقه على شكل شجرة ، رأسها (أي عقدها الأولى) الرمز (ج) وتتفرع عنه المؤلفات المباشرة حتى يتوصل بواسطة قواعد إعادة الكتابة (Les règles de réécritures) إلى أصغر المورفيمات»⁽¹⁾

ومن خلال هذا يمكننا أن نجعل هذه العلاقات بين عناصر الجملة على الصورة التي نبنيناها في الشكل الآتي:

«1- الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي

2- مركب اسمي ← أداة التعريف + اسم

3- مركب فعلي ← فعل + مركب اسمي

4- أداة التعريف ← ال

5- اسم ← (رجل ، كرة،.....)

6- فعل ← (قذف ، أخذ ،.....)»⁽²⁾

«ز ← (ماض، حال، مستقبل، أمر)

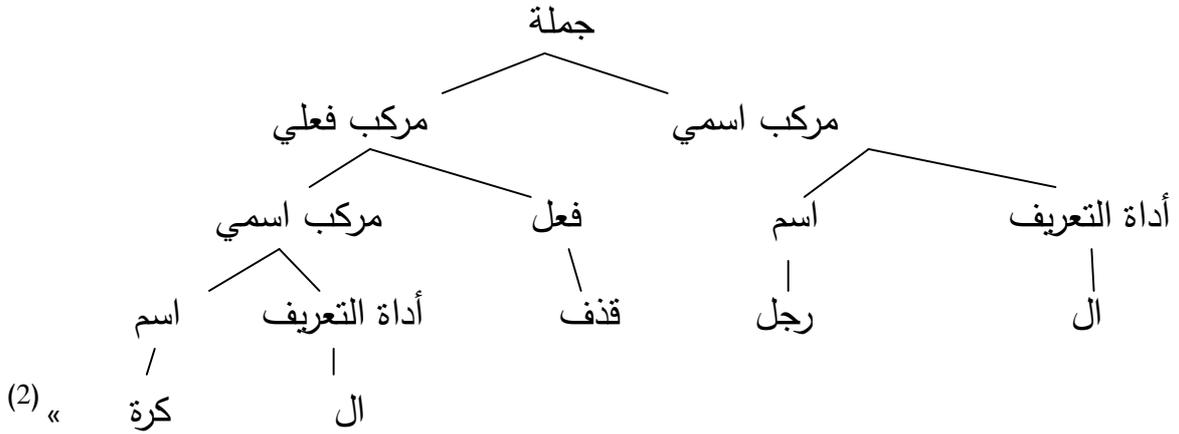
⁽¹⁾ شفيقة العلوي محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع سنة 2004، ط 1 ص 67

⁽²⁾ احمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ص 221

تعري ← ال « (1)

ويرى تشومسكي بأنه حتى يتم توليد جملة ما لابد من استبدال كل رمز بالمكون مباشرة
مثال: «الرجل قذف الكرة»

« وحسب تشومسكي يمكن تمثيل بنية هذه الجملة بواسطة هذا المشجر (tree diagram) التالي:



« الشكل رقم 4 »

قد توصل تشومسكي إلى أن القواعد التركيبية لا تعكس بدقة حدس أبناء اللغة فيما يخص الحكم على استقامة الجمل أو استحالتها فلا يمكن الحكم عليها، فهي مهما كانت أشد قوة وأكثر ملائمة إلا أنها في نظر تشومسكي لا تستطيع أن تولد كل التراكيب اللغوية الموجودة في اللغة. وهكذا سعى تشومسكي حتى طور القواعد التركيبية فأصبحت قادرة على تحليل كل اللغة سواء كانت الجمل نحوية أو المستقيمة.

وفي العربية يمكننا أن نولد أي جملة بإتباع القواعد التوليدية التحويلية لنأخذ مثلا الجملة الآتية: "يراجع التلميذ الدروس"

ف نجد أن الجملة تتكون من مسند و مسند إليه فيكون التحليل كالآتي:

(1) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ص 68

(2) احمد مومن : اللسانيات النشأة والتطور ، ص 222

1- الجملة ← مركب اسمي +مركب فعلي

2- المركب الاسمي يتكون من
مفرد
مثنى
جمع

3- المركب الاسمي مفرد ← أداة +اسم

4- مركب اسمي مثنى ← أداة +اسم +علامة المثنى

5- مركب اسمي جمع ← أداة + اسم +علامة الجمع

6- مركب فعلي ← فعل + مركب اسمي

7- الأداة ← ال

8- اسم ← تلميذ ، دروس

9- فعل ← فعل مساعد+فعل

10- فعل ← راجع

11- فعل مساعد ← الزمن + المساعد الصيغي

12- الزمن
الحاضر
الماضي

13- مساعد صيغي ← لم - س - سوف -قد -يجب

14- فعل + ال + تلميذ +ال + ال +دروس

15- ماضي + فعل +ال +تلميذ +ال + دروس

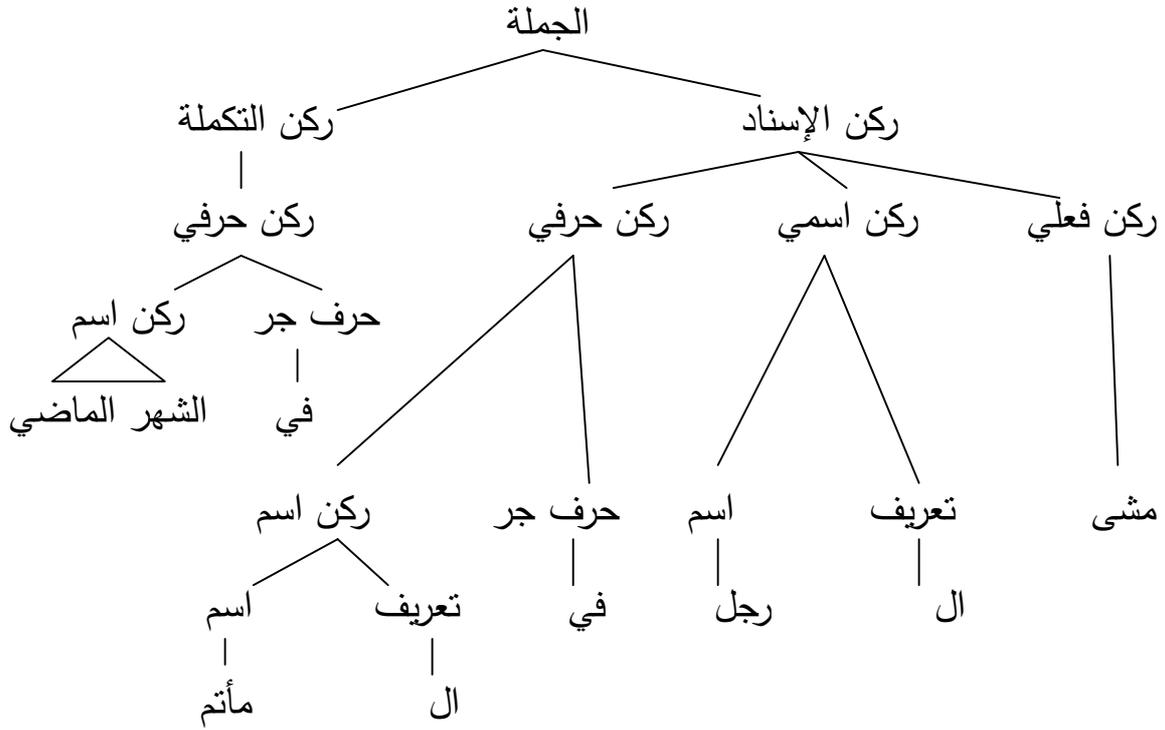
16- ماضي + راجع +ال + تلميذ + ال + دروس

17- راجع + ال + تلميذ + دروس

18- راجع + ال + تلميذ + ال + دروس

19- راجع التلميذ الدروس

وقد وضع تشومسكي مشجر يوضع فيه عملية توليد في اللغة العربية ومثلها بالمشجر التالي :



"الشكل رقم 5" (1)

(1) ميشال زكريا : الألسنة التوليدية والتحويلية ، قواعد اللغة العربية ، الجملة البسيطة ، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع ، ط 2 ، سنة 1986 ص 51

يتضمن هذا الشكل الترتيب الأساسي لعناصر الكلامية على النحو: فعل + فاعل + مفعول به وهذا ما جعل صعوبة في دراسة اللغة العربية بطريقة البنى التركيبية، وظهرت نظرية المعيار النموذجية.

VI. - نظرية المعيار النموذجية: 1965

ظهرت هذه النظرية إلى حيز الوجود مع ظهور كتابه الموسوم "مظاهر النظرية التركيبية" وتعد هذه الأخيرة كتعديل للنظرية السابقة، حيث أضاف فيها تشومسكي المكون الدلالي في البنية العميقة، وبذلك أصبحت لديه ثلاث قواعد تحدد المكونات النحوية الدلالية والصوتية، إن الملاحظ في هذه المرحلة من النظرية هو استقلال المعنى عن البنية السطحية، وارتباط الدلالة بالتوليد باعتبارها مكون أساسي، بالإضافة إلى المكون النحوي أما المكون المعجمي في هذه المرحلة لم يحض إلا بالقسط اليسير، إلا أنه لقي مكانة ما بين المكونات حتى وإن كانت ضئيلة.

« وتجمع هذه المرحلة بين أنموذجين: أولهما النظرية النموذجية Standard theory

وثانيهما: النظرية النموذجية الموسعة Extended Standard theory

وقد ظهرت ملامح الأنموذج الأول في كتاب (تشومسكي) (جوانب من نظرية النحو) Aspects of the theory of syntax الذي نشر عام 1965 «⁽¹⁾

(1) تراكيب النداء في العربية دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة التوليدي ، الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، يناير 2008 219.

الفصل التطبيقي

في هذا الفصل سنحاول تطبيق مبادئ النظرية التوليدية التحويلية على أسلوب الرثاء بمختلف صورته، من خلال العجرات، وما يتبعها من شروح و تحليلات. و قد اعتمدت في بحثي هذا على بعض آراء الباحثين العرب في تحليل تراكيب النداء و من بين هذه التحاليل نجد:

« محمد علي الخولي في تحليله لتركيب (البيت يا سمير) حيث يرى أن جملة النداء (يا سمير) محولة من بنية عميقة هي (أنادي+سمير+من+أنا) ثم أجرى عليها ستة قواعد تحويلية وكذلك حسام البنهساوي في تحليله لقول حاتم الطائي (يا بنة عبد الله) وجعلها محولة من التركيب العميق (أنادي + Ø) مركب فعلي، ومن مركب النداء، "بنة + عبد الله... " وميشال زكريا في تحليله للمركب الاسمي في كتاب سبويه»⁽¹⁾.

وبالنظر إلى هذه التحاليل حاولت تطبيق هذا التحليل على أسلوب الرثاء في شعر الخنساء باعتبار أسلوب الرثاء هو أحد أقوى الأساليب في التعبير عن الحزن والأسى والألم.

ونجد أن الخنساء في رثائها لأخيها صخر قد استعملت عدة أساليب ومن بين هذه الأساليب نجد أسلوب النداء في الرثاء، وقد استعملته في أكثر من مقطوعة رثائية، وكانت تستعمل حرفين لنداء، ياء و الهمزة فنجدها تقول في هذا البيت:

« يا عين مالك لا تبكين تسكابا؟ إذ راب دهر، وكان الدهر ريابا »⁽²⁾

(1) حمدان رضوان أبو عاصي: تراكيب أسلوب النداء في العربية، المرجع السابق، ص 299

(2) ديوان الخنساء، م. . 7

الفصل الثاني: مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على أسلوب الرثاء

حيث نجد أن بنية تركيب النداء العميقة تتكون من :

مركب فعلي: فعل+مركب اسمي

فعل: زمن + حدث (أدعو، أنادي)

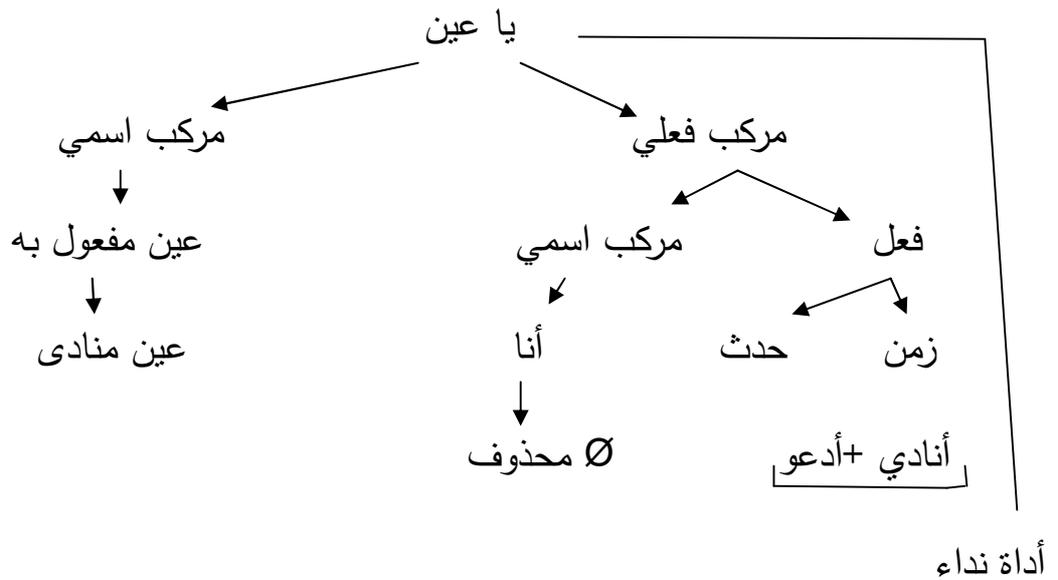
مركب اسمي: (أنا) ضمير محذوف + فعل محذوف Ø

مركب اسمي: مفعول به

مركب اسمي: منادى

إن المركب الاسمي يكون مفعول به إذا كان الفعل أنادي أو أدعو، ويكون منادى إذا كان مع حرف النداء.

ومنه يكون الرسم التشجري لأسلوب الرثاء عن طريق أسلوب النداء كمايلي:



الشكل رقم 6

الفصل الثاني:مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على اسلوب الرثاء

ف نجد أن هذا الرسم التشجري يحتوي على المكونات الأساسية لقواعد توليد البنية العميقة لتركيب النداء ثم استبدلت رموز التركيب بمفردات معجمية ذات سمات ذاتية تتفق مع المعنى المطلوب، ثم تحولت هذه البنية العميقة عن طريق قواعد التحويل (التعويض، الحذف، الإحلال) إلى بنية سطحية ذات حالات صوتية وتركيبية ودلالية منطوقة.

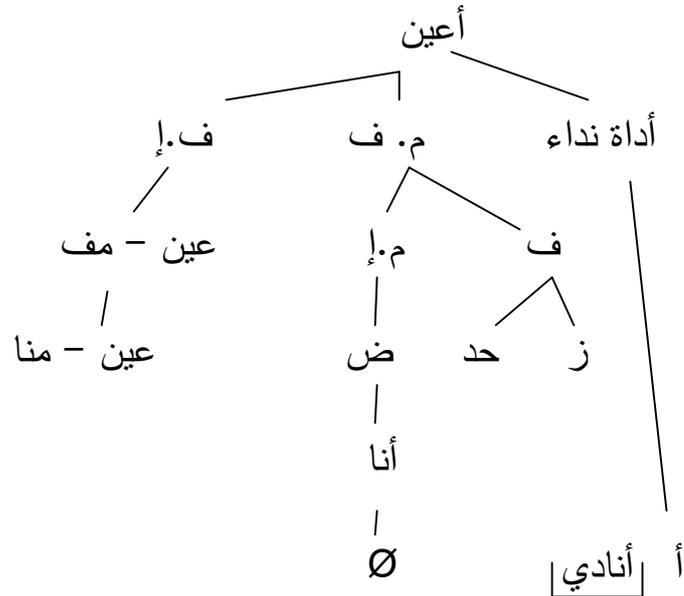
واستعملت كذلك حرف ثان من أحرف النداء في رثائها لأخيها صخر، ألا وهو الهمزة فتقول:

« أعين ألا فابكي لصخر بدره

إذا الخيل من طول الوجيف

اقشعرت»⁽¹⁾

تقرأ حسب العجرات كما يلي:



الشكل رقم 7

⁽¹⁾ تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، المرجع السابق، ص 16

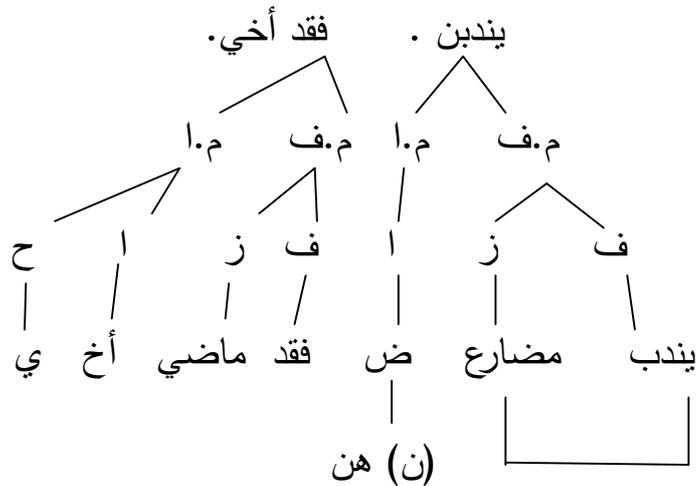
الفصل الثاني: مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على أسلوب الرثاء

و من خلال هذا المشجر نرى أن بنية تركيب النداء تتكون من (أنا أدعو العين بالبكاء) و قد حذف الفعل و عوض بالرمز Ø دليلا على الحذف، كما حذف الضمير (أنا) على كونه مركب اسمي.

و هي لم تستعمل أسلوب النداء في رثائها فقط بل إستعملت كذلك أسلوب الندبة فتقول في هذا البيت:

1. « يندبن فقد أخي الندد و الخير و الشيم الصوالح»⁽¹⁾

حيث نجدها قد استعملت ألفاظ تدل بحق على الفجعة و الألم، فوظفت مثلا كلمة يندبن دليلا على كثرة البكاء و شدته في الجاهلية، و يكون هذا البيت حسب العجزات كالتالي:



تركيب أسلوب رثاء الندبة

الشكل رقم 8

⁽¹⁾ تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، المرجع السابق، ص 23.

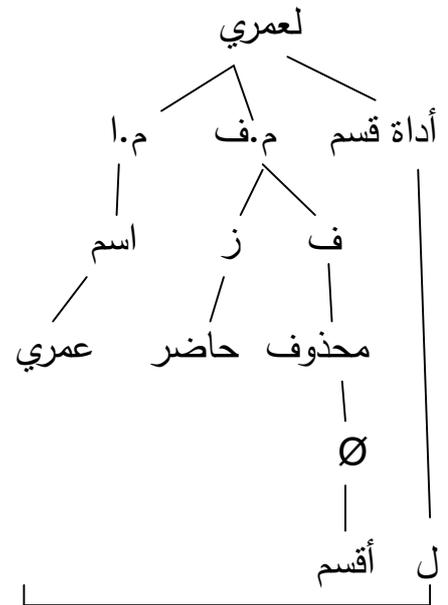
الفصل الثاني: مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على أسلوب الرثاء

إن الخنساء لم تستعمل نوع واحد من الرثاء في رثاء أخيها، فهي لم تتوقف عند الندبة، بل استعملت كذلك النوع الثاني من الرثاء، وهو التأبين و الذي تقوم فيه بعد خصال الميت و فضائله فتحدثت عن ذلك في كل مقطوعاتها الرثائية إلا أنني اخترت بيتين فقط أحدهما يحمل أسلوب القسم و الثاني فيه ناسخ، فنقول في أخيها صخرًا:

لعمري وما عمري عليَّ بهينٍ لَنِعْمَ الْفَتَى أُرْ دَيْتُمُ آلَ خَشَعَمَا»⁽¹⁾

فهي استعملت أسلوب القسم في رثائها لأخيها، حتى يكون أكثر بلاغة و أشد تأثيرا، فأقسمت بأعلى مالديها ألا و هو عمرها، بأن صخرًا فتى ليس له مثل.

و يقرأ هذا البيت حسب العجرات كالاتي:



أسلوب رثاء نوعه التأبين

الشكل رقم 9

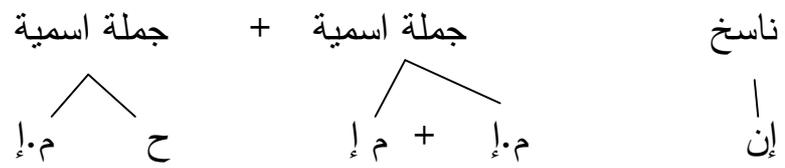
⁽¹⁾ تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، المرجع السابق، ص 131.

الفصل الثاني: مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على أسلوب الرثاء

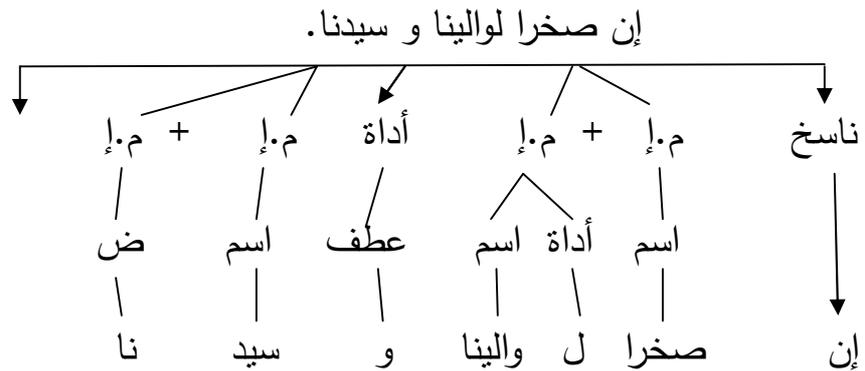
وهذا البيت استعملت فيه الناسخ إن، حتى يكون أكثر تأكيدا على أن أخاها صخر، كان هو أكبر القوم عظمة و شأنا، حتى أنه هو سيدهم فتقول فيه:

إِنَّ صَخْرًا لَوَالِيْنَا وَ سَيِّدُنَا وَ إِصْخَرًا إِذَا نَشْتُو لَنَدَارُ⁽¹⁾

و الأصل في هذه الجملة هو: صخر لوالينا و سيدنا و به تكون الجملة تتكون من مسند و هو الخبر و مسند إليه و هو المبتدأ، و عندما أضيف إليها الناسخ، أصبحت الجملة تتكون من:



و تقرأ بالعجرات كالاتي:



الشكل رقم 10

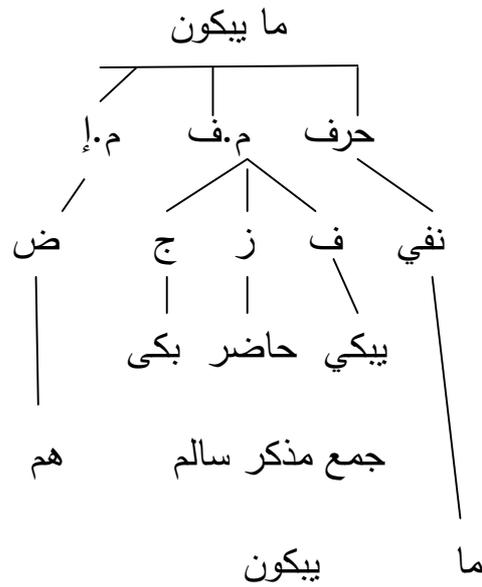
و نجدها استعملت كذلك في رثائها بعض الأفعال و الحروف التي تعبر بها عن الألم و الفجعة، مثل استعمالها للأحرف المشبهة بالفعل في قولها:

(1) تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، المرجع السابق، ص 48.

الفصل الثاني: مراحل النظرية التوليدية والتطبيق على أسلوب الرثاء

ترى الخنساء أن كل الناس تبكي أعز أحبائها إلا أنها ترفع من قيمة أخوها و تعزي نفسها بهؤلاء الموتى الذين أقل منه شأنًا.

و يكون البيت حسب العجرات كمايلي:



الشكل رقم 12

۲۱
۲۱

۲۱
۲۱

خاتمة

ككل بحث أكاديمي خلصت في ختام موضوعي هذا إلى مجموعة من النتائج التي تكون تصورا علميا حول الفصول المقدمة كان أهمها:

-رغم تميز اللغة العربية عن غيرها إلا أنها لا تختلف في بنائها التركيبي و مكوناتها المباشرة عن هذه اللغات.

- إن تطبيق التحليلات التولدية على اللغة العربية يجعلها قادرة على تفسير الجمل الغامضة.

- يستطيع تفسير الجمل التي تحمل أكثر من معنى.

- يساعد على اكتشاف الجمل الصحيحة و الجمل اللاحنة.

-يتيح لنا النحو التوليدي من خلال التفريغ الشجري إمكانية تحديد الوظائف النحوية الرئيسة في الجملة العربية: الفاعلية ، المفعولية

- يساعد في تعليم اللغات و خاصة اللغة العربية.

- إن تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على اللغة العربية يبقى نسبيا مهما كانت نتيجته.

- إن النظرية التوليدية التحويلية تتميز عن غيرها من النظريات اللسانية الأخرى لما أضاف إليها تشومسكي بما يعرف بالمنهج.

- رغم كون أسلوب النداء من الأساليب الشعرية لا النثرية إلا أنه استفاد من منهج النظرية التوليدية التحويلية.

و في الأخير إن اللغة العربية بحر لا شاطئ له فلا يمكن لنظرية لسانية واحدة إن تفي كل أغوارها و هذا ما جعل تطبيق منهج النظرية التوليدية التحويلية يبقى نسبي عل اللغة العربية ، وأتمنى من الله عز و جل ان يفيد بحثي هذا غيري من طلاب العلم.

قائمة المصادر :

- القرآن الكريم
- الأصفهاني - أبو الفرج، الأغاني، مجلة 13، مطبعة التقدم، مصر، د.ط. د-ت-
- البحري: الديوان، مجلد 1، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت، لبنان، د.ط.
- تماضر بنت عمر والخنساء: ديوان الخنساء، تحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1971
- تماضر بنت عمر والخنساء: ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت، د.ط.
- أبو تمام: الديوان، تحقيق: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط.
- جرير: الديوان، تحقيق محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان د.ط
- حسان بن ثابت الانصاري: الديوان، تحقيق: عمر فاروق، دار الارقم بن أبي الارقم، بيروت، لبنان، د.ط.
- ابن الرومي: الديوان، ج3، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1 1994
- عبد ربه الاندلسي: العقد الفريد، ج3، تحقيق ابراهيم الانباري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط
- أبو العتاهية: الديوان، تحقيق: أنطون القوال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د.ط

- علي الحسن بن رشيق القيرواني=العمدة، ج2 ، تحقيق،محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجبل ،مصر،ط5 1981 .
- المتنبي: الديوان،ج1،تحقيق: مصطفى سببتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.د.ط
- ميشال زكريا: الالسنة التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) بيروت،لبنان،ط2 1402 هـ -1982م.

قائمة المعاجم:

- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، مجلد6، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل،بيروت، د.ط.
- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب،تحقيق: خالد رشيد القاضي، بيروت، لبنان، ط1 1427-2006 .

قائمة المراجع:

- أحمد حساني: مباحث اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية- ط 1999.
- أحمد مومن: اللسانيات النشأة و التطور، بن عكنون، الجزائر، ط3، 2007.
- أمين أبوليل:تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ج2،الوراق للنشر والتوزيع،ط1،د.ت.
- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الادب العربي القديم، دار الجبل، لبنان، ط1 1986 .
- زكريا ابراهيم: مشكلة الحياة، مكتبة مصر. د.ط.د.ت.
- شفيقة العلوي : محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 2004 .

- شوقي ضيف: فنون الادب العربي القديم، دارالمعارف، القاهرة، ط4 د.ت.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط4 2004 .
- فيليب بلانشيه، تر، صابر الحباشة: التداولية من اوستن الى غوفمان سورية، اللادقية، ط1 2007.
- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ط.
- لويس شيخو: أنيس الجلساء فيشرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط 1896.
- محمد علي عبد الكريم الرذني: فصول في علم الدلالة العام، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.
- محمود حسين أبو ناجي: الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.
- نوام تسومسكي: ترجمة حمزة بن قبلان المزيدي، أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ط1 2005 .

قائمة المقالات والمجلات، دوريات:

- بوفلاقة: "دراسات في الأدب الجاهلي النشأة والتطور والفنون والخصائص" منشورات جامعة باجي مختار عنابة 2006.
- جون سيرل : "تسومسكي والثورة اللغوية" ، مجلة الفكر العربي العدد8، 9 مارس 1979 .

- حمدان رضوان أبو عاصي: " تراكييب أسلوب النداء في العربية دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة التوليدية " . مجلة الجامعة الإسلامية-سلسلة الدراسات الإنسانية مجلة 16، العدد الأول، يناير 2008

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا سَأَلَ سَأَلًا

وَأَلْمَزَ ظُلْمًا كَمَا
رَأَى الظُّلْمَ عِنْدَ اللَّهِ

الرموز و المصطلحات المستعملة في التحليل.

م.إ: المركب الاسمي

م.ف: المركب الفعلي.

فا: فاعل

مف: مفعول به

ف : فعل

مص: المركب المصدرى

ز: زمن

إ : إسم

أ: أداة

∅ : عنصر محذوف

ج: جملة

حد: حدث

ح: حرف

ض: ضمير

منا: منادى

ج: جذر

فانظر
بها سر
بها سر

المنظر
بها سر
بها سر

فهرس الموضوعات

.....	
-	
5- 1	تاريخ اللغات :
6.....	تعريف الرثاء وترجمة الشاعرة :
9-8.....	تعريف الرثاء
8.....	-
9-8.....	-
10-9.....	
10.....	- نسبها
23-11.....	
15-11.....	-
17-15.....	- التأبين
20-17.....	-
23-20.....	-
24.....	: مراحل النظرية التوليدية و التطبيق على أسلوب الرثاء
47-25	مراحل النظرية التوليدية التحويلية
33-26..	
39-34.	القواعد التركيبية
39.....	نظرية المعيار النموذجية
47-40	تطبيق

49-48.....

53-50.....

55- 54..... فهرس الموضوعات